جامعة الأزهر
كلـــية
الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات – القاهرة

الرســالة العــذراء

لإبراهيم بن المدبر



عـــرض ودراســـة

دكتورة : نادية أحمد مسعد

١٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

[اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم]

صدق الله العظيم

— ١ —

تصـــــديـــر

الأدب هو القلب النابض للعرب حيث يترجم مشاعرهم وأحاسيسهم وإنفعالاتهم ويجسد سلوكياتهم وعاداتهم عبر نصوصه الشعرية والنثرية التى تترنم بأنغام الفضيلة وتشدو بعالم المثل ودنيا الرقى والسمو .

والمتلقى الكريم لكتب الأدب منذ العصر الجاهلى يجد أنه دعوة منيرة للحق والخير والجمال ولهذا فهو روح العرب يسطر أمجادهم ويثير حماستهم ويجدد حيويتهم ويناجى أحلامهم وقد سجل الأدباء العرب تجاربهم فى لوحات ناطقة بالبيئة وقد أثمرت هذه الحياة الأدبية زهور النهضة النقدية التى ترمى إلى إجادة الأعمال الأدبية كما أثمرت رياحين الفن الذى يتناول طبيعة الأصول التى يجب أن يتزين بها الكاتب حتى يغرد عمله بسحر الحياة وينطق بروعة التصوير الأدبى فكتبت الرسائل التى تبين الصفات الثقافية والإجتماعية والوجدانية التى يجب أن يلتزم بها المنشئ ومن هذه الرسائل الأدبية الراقية الرسالة العذراء لإبراهيم بن المْدبر فقد أعلن فيها ضرورة توظيف عناصر الأثر الأدبى حتى يتحقق له النجاح والخلود .

والمتذوق لرسالة إبراهيم بن المْدبر يجد أنها ترجمة حية صادقة لمنزلة الأدب عند العرب ومكانته السامية حتى تمكن من قلوبهم كما يدرك مدى

عناية الكاتب بضرورة تكوين شخصية الأديب العربى المتميز ولهذا أعجبنى منهجه فى توظيف العناصر التى تشكل العمل الأدبى ويزغ نورها من حديثه عن ثقافة الأديب وحكمته وحسن هيئته وجودة أدواته الكتابية وسلاسة صدور عمله وسحر خواتيمه حتى يتسم أثره بفن الإنشاء الجيد .

خطة البحث :

تهدف خطة البحث إلى بيان كيفية علاج المنشئ لقضية موضوعه ومنهجه فى تحليل وتفسير كل عنصر يناقش ظاهرة أدبية تخط أثراً إيجابياً فى حياة الأدب ويتبلور دور الباحث فى كشف رؤية الكاتب من خلال المناقشة الأدبية الموضوعية لعناصر البحث التى تشرق من خطته الدراسية وخطة البحث تنبع من طبيعة موضوعه التى تحدد للباحث منهجه حتى يصل لثمرة بحثه التى تضفى على المكتبة الأدبية روح الحيوية والتجديد وبحث (الرسالة العذراء) يقتضى الخطة الاتية :

المبحث الأول : ينقسم إلى قسمين :

الأول : يعرض نبذة عن البيئة النثرية فى عهد إبراهيم بن المدبر نلقى الضوء على منزلة الرسائل ودورها الإيجابى فى بناء النهضة الأدبية .

الثانى : التعريف بإبراهيم بن المدبر .

المبحث الثانى : ينقسم إلى قسمين :

الأول : عرض ودراسة القضايا الإنشائية الأدبية التى تضمنتها الرسالة العذراء .

الثانى : ابن المدبر فى ميزان الإنشاء الأدبى .

أولاً : بين الجاحظ ، وابن قتيبة

ثانياً : أثره الأدبى والنقدى فى

* الصولى .
* ابن الأثير .
* القلقشندى .

دكتورة نادية أحمد مسعد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
فى ١١ / ٥ / ١٩٩٤ م

المبحث الأول

أولاً : البيئة النثرية فى عهد إبراهيم بن المدبر

ثانياً : التعريف بإبراهيم بن المدبر

القسم الأول

البيئة النثرية فى عهد إبراهيم بن المدبر

البيئة النثرية فى عهد إبراهيم بن المدبر

تشرق أنوار الأدب من شمسين هما الشعر والنثر ولكل منهما دوره الإيجابى الذى يضئ سماء النهضة الأدبية . فينير الفكر الإنسانى ويهدى الوجدان ممايغرس بذور الإستقرار التى تثمر ثمار السعادة .

والمتلقى الكريم لعنوان البحث يدرك أننا سوف نقطف من رياض النثر زهرة عبيرها فوّاح الشذا لأنها ترمى إلى رقى الكتابة الأدبية خاصة أن العرب أمة البيان والفصاحة وسحر البلاغة ومن الجدير بالذكرأن النثر هو الكلام الذى لم ينظم فى أوزان وقواف وهو على ضربين :

أما الضرب الأول فهو النثر العادى الذى يقال فى لغة التخاطب وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجرى فيه أحياناً من أمثال وحكم وأما **الضرب الثانى** فهو النثر الذى يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة وهذا الضرب هو الذى يعنى النقاد فى اللغات المختلفة ببحثه ودرسه وبيان مامر به من أحداث وأطوار وما يمتاز به فى كل طور من صفات وخصائص وهو يتفرع إلى جدولين كبيرين هما الكتابة الفنية – ويسميها بعض الباحثين باسم النثر الفنى – وهى تشمل القصص المكتوب كما تشمل الرسائل الأدبية المحبرة

ولقد لعب النثر الفنى دوراً عظيماً فى حياة عرب الجاهلية فقد شغفوا بالتاريخ والقصص عن فرسانهم ووقائعهم وملوكهم يقطعون بذلك أوقات

سمرهم فى الليل وحول خيامهم وقد دارت بينهم أطراف من أخبار الأمم المجاورة لهم ممتزجة بالخرافات والأساطير ففى السيرة النبوية أن النضر بن الحارث المكى كان يقص على قريش أحاديث عن أبطال الفرس أمثال رستم واسفنديار وأكثر ما كان يستهويهم من القصص أحاديث قصاصهم عن أيامهم وحروبهم فى الجاهلية [1] وثمرة القول أن العرب فى جاهليتهم اهتموا بالنثر الفنى اهتماماً ظهر أثره وعرفت خواصه فى خطب الخطباء ورسائل الكتاب ولكن ما عرف عن العرب من إهمال التقييد والتدوين لشيوع الأمية فيهم أضاع علينا معرفة ما اهتموا اهتماماً جدياً بتدوينه .

وعندما أشرق الإسلام أيقظ العرب وأثار ما سكن من نشاطهم وحياتهم وحبب إليهم القوة والجاه والملك فانطلقت ألسنتهم وظهر فيهم الكتاب والخطباء وكان من ذيوع البلاغة عندهم حاجتهم إلى الدفاع عن صدق النبوة ثم اشتجار الفتن بينهم : فتن الحرب والإختلاف والإنقسام التى كانت أهم باعث على شيوع الكتابة والخطابة فى تلك الأمة التى توارت فى الصحراء زمنا غير قليل وأول مظهر لقوة الخطابة والكتابة هو التنافس الشديد الذى قام بسبب الخلافة فقد كان كل حزب من المهاجرين والأنصار يدعو لنفسه سراً وعلانية عن طريق الخطب والرسائل والمجادلات التى كانت تدور فى المجالس والمساجد والأسواق ثم كانت الفتنة بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى . د. شوقى ضيف دار المعارف – الطبعة التاسعة من ١٥ ، ١٦ بتصرف

سفيان فظهرت حاجة الفريقين إلى البلاغة واشتدت الرغبة فى نشر الدعوة فى الأمصار ولم يكن حظ هذه النهضة الأدبية كحظ النهضة التى سبقها فى الجاهلية لأن العرب شرعوا يتحضرون ويسلكون سبيل الأمم المتمدنة فى التدوين فكان من أثر ذلك أن حفظت أثار الكتاب والخطباء بحيث يستطيع الباحث أن يعين مظاهر النثر وخواصه فى عصر بنى أمية وعصر بنى العباس .

وقد تمتع النثر فى هذه الحقبة بالعمق والقوة بفضل تأثره بالأداب الأجنبية التى عرفها العرب حين أنبثوا بفضل الإسلام فى الممالك التى فتحوها واكتسبوها بالمعاشرة والمصاهرة روحا جديداً ظهر أثره فى الخطب والرسائل والمحاورات [١] . ومن أبرز كتاب الرسائل فى الأدب العربى الأموى والعباسى عبد الحميد الكاتب [٢] .

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع د. زكى مبارك – الجزء الأول – الطبعة الثانية – المكتبة التجارية ص ٥٧ : ٥٩ بتصرف .

(٢) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامرى المعروف بالكاتب عالم بالأدب من أئمة الكتاب كان جده مولى للعلاء بن دهب العامرى فنسب إلى بنى عامر يضرب به المثل فى البلاغة وعنه أخذ المقرسلون وأصله من قيسادية سكن الشام واختص بمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فى المشرق . الأعلام – الزركلى جـ٣ ص ٢٨٩ دار العلم .

وابن المقفع والجاحظ [٣] وغيرهم من كتاب الرسائل ولكل منهم سماته الانشائية ومنهجه الفنى وصنعته الأدبية المتميزة .

ومن الجدير بالذكر أن نهضة النثر فى العصرين الأموى والعباسى تنبع من رافدين الخطابة والرسائل وقد لعبت كل منهما دوراً هاماً فى بناء النهضة الأدبية التى ازدهرت ازدهاراً عظيماً فى العصرين .

ويجد القارئ الكريم فى مراجع وكتب الأدب منزلة الرسائل الرفيعة فى

---

(٣) عبد الله بن المقفع واسمه بالفارسية روزيه وهو عبد الله ابن المقفع ويكنى قبل اسلامه أبا عمرو فلما اسلم اكتنى بأبى محمد والمقفع بن المبارك وإنما تقفع لأن الحجاج ابن يوسف ضربه ضربة بالبصرة فى مال احتجبه من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتفقعت يده وأصله من حوز مدينة من كود فارسى وكان يكتب أولاً لداود بن عمرو ابن هبيرة ثم كتب لعيسى بن على على كرمان وكان فى نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً وهو الذى عمل شريط عبد الله بن على المنصور وتصعب فى احتياطه فاحفظ ذلك أبا جعفر فلما قتله سيفان ابن معاوية حرقا بالنار وقع ذلك من المنصور بالموفق فلم يطلب بثأره وطل دمه وكان أحد النقلة من اللسان الفارسى إلى العربى مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب فردك وكتاب التاج فى سيرة أنو شروان وكتاب البتيمة فى الرسائل .

الفهرست – إبن النديم – ص ١٧٢ طبعة بيروت .

** عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الشهير بالجاحظ (١٦٣ – ٢٥٥ هـ) كثير الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة مولده ووفاته فى البصرة فلج فى آخر عمره وكان مشوه الخلقة ومات والكتاب على صدره .

– قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه له تصانيف كثيرة منها (الحيوان – ط) ، (البيان والتبين – ط) ، (سحر البيان) ، (التاج – ط) ، (النجلاء) ، (مجموع رسائل) ، (الدلائل والإعتبار) .

الأعلام – الزركلى – جـ٥ ص ٧٤ طبعة بيروت .

روضة النثر حيث تعددت ألوانها فهناك رسائل سياسية تصدر عن دواوين الخلفاء والولاة أو عن خصومهم ورسائل اجتماعية يتبادلها الناس فى أمور حياتهم الشخصية .

ورسائل دينية منها ما يأخذ شكل الموعظة ومنها ما يأخذ شكل الحوار والجدل حين يتعرض شخص للرد على صاحب نحلة من النحل [١] ورسائل أدبية تعالج أسس الصنعة الإنشائية الأدبية الجيدة مثل الرسالة العذراء لإبرهيم ابن المدبر .

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى – د. شوقى ضيف الطبعة التاسعة – دار المعارف – ص ١٠٢ بتصرف

القسم الثانى

التعريف بإبراهيم بن المدبر

التعريف بإبراهيم بن المدبر

إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر أبو إسحاق الكاتب والأديب الفاضل الشاعر الجواد المترسل صاحب النظم الرائق والنثر الفائق تولى الولايات الجليلة ثم وزر للمعتمد على الله لما خرج من سر من رأى يريد مصر .

وإبراهيم بن المدبرهو القائل فى ابراهيم بن العباس يهجوه :

عز الطويل عن الأزمة   لا رده ربـــى بـــــذمـــــة

إن كـــان طـــال فإنـــه   مــــن أقصـــر الثقليـــن همـــه

توفى ببغداد سنة تسع وسبعين ومائتين هجرية وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضيـــاع .

سبب تسمية ابن المدبر رسالته بالعذراء :

تعد البيئة المعين الأول الذى يمد الأدب بروافد نهضته التى تبرز درجة تجاوبه مع ظروف واقعه فالقارئ الكريم يجد أن ازدهار فن الرسائل فى القرنين الثانى والثالث للهجرة مدعاة طبيعية لظروف المجتمع ولهذا ازدهرت الرسائل التاريخية والسياسية والأدبية والإجتماعية والدينية وقد كان كتاب هذه

---

١ – معجم الأدباء – ياقوت – الطبعة الأخيرة ص ٢٢٦ .
لفهرست – إبن النديم – ص ١٧٨ طبعة بيروت

الرسائل هم أنفسهم أرباب الفصاحة والبيان الذين حبب إليهم القرآن الكريم روعة التصوير وسحر البلاغة وجمال التعبير وحسن العرض ومن بينهم إبراهيم بن المدبر منشئ الرسالة العذراء الذى سطر رسالته بهدف وضع أسس منهج الإنشاء الأدبى البليغ وقد أطلق عليها هذا الإسم لأنها تعالج رؤية فنية جديدة برعت فى سماء الإنشاء الفنى الأدبى وقد صرح بذلك فى قوله : (وهذه الرسالة عذراء لأنها بكر معان لم تفترعها بلاغة الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين ، فاجعلها مثالا بين عينيك ومصورة بين يديك ، ومسامرة لك فى ليلك ونهارك تهطل عليك شآبيب منافعها ويظلك منها بركاتها وتوردك مناهل بلاغتها وتدل على مهيع رشدها وتصدرك وتقع ظمؤك بينابيع بحر إحسانها إن شاء الله عز وجل) [1] .

والمتلقى الكريم يستشف من مقولة إبراهيم بن المدبر أن الرسالة العذراء تتسم بالتميز الموضوعى والفكرى والفنى الذى يشكل روافد البناء الأدبى الجيد النابع من الصورة الإنشائية الراقية .

كما يدرك الباحث أن الرسالة العذراء ليست رسالة نقدية ولكنها تنتمى إلى الفن الذى عرف بأدب الكتاب وقد صرح بذلك د. زكى مبارك فقال : (ولنفيد أن نقد النثر الذى إنصرف عنه أكثر الباحثين هو فن غير الفن الذى

---

(١) الرسالة العذراء – تحقيق د. زكى مبارك ص ٤٨

عرف بأدب الكتاب ووضعت فيه أبحاث كثيرة منها الرسالة العذراء التى قدمناها مع مقدمة بالفرنسية إلى مدرسة اللغات الشرقية فى باريس ونشرناها فى سنة ١٩٣١م و (أدب الكتاب) للصولى و (كتاب الكتاب) لإبن درستويه وما إلى ذلك من الدراسات التى تتصل فى الأغلب بأحوال الكتاب من الوجهة الديوانية والإجتماعية وأهم كتاب فى هذا الباب هو (صبح الأعشى) الذى يعد أنفع ما صنف فى أدب الكتاب على أن هذا النوع من التأليف حافل بالملاحظات الفنية التى تقربه من (النقد الأدبى) وإن لم تسم به إلى المصنفات الممتعة التى قصرها أصحابها على دراسة آثار الشعراء) [١] .

والمتذوق للرسالة العذراء يدرك أن منهجها يضم بين طياته سبل الإنشاء الجيد للرسائل السياسية والإجتماعية والتاريخية والشخصية والأدبية . وتقع الرسالة العذراء فى ثمانية وأربعين صفحة وقد قسمها ابن المدبر إلى فقرات لكل فقرة فكرة إيجابية تنافش بحيوية أسس بناء الصورة الإنشائية الرفيعة .

وتبلغ فقرات الرسالة إحدى وثلاثين فقرة توحى بتمتع ابن المدبر بذوق فنى متميز قادر على تنميةالحاسة الفنية الناطقة بملامح الإبداع .

وبعد : فالرسالة العذراء رسالة إنشائية تهدى كتاب الرسائل إلى الأصول الفنية الراقية التى تحقق لأثرهم القيمة الإبداعية والمستوى الفنى الرفيع من خلال العرض الجيد للأفكار التى تجيش فى وجدانهم ثم تتجسد ملامحها بجلاء فى فكرهم .

---

(١) النثر الفنى – د. زكى مبارك – جـ١ ص ١٨ ، ١٩ الطبعة الثانية (الهامش) بتصريف

المبحث الثانى

القسم الأول : القضايا الإنشائية الأدبية التى تضمنتها الرسالة العذراء

القسم الثانى : ابن المدبر فى ميزان الإنشاء الأدبى

أولاً : بين الجاحظ وابن قتيبة.

ثانياً : أثره الأدبى والنقدى فى :

الصولى

ابن الأثير

القلقشندى

القســم الأول

القضايا الإنشائية الأدبية التى
تضمنتها الرسالة العذراء

القضايا الإنشائية الأدبية التى

تضمنتها الرسالة العذراء

الكتابة الأدبية فن رفيع يترجم للمتلقى الخواطر والمشاعر ويصور المواقف ويجسد الأحداث ولهذا تحتاج لدقة تعبيرية تعكس بجلاء مراد المنشئ ورؤيته حيث وضع ابراهيم بن المدبر فى رسالته باقة فنية من الأصول التى توضح سبيل الإجادة فى فن الإنشاء تشرق أنوارها من حديثه عن أبرز العناصر التى تحقق الجودة للأثر الأدبى التى تنبع من رقى فن الإنشاء وقد عرض ابن المدبر فى صدر رسالته الأسباب التى دفعته لإعدادها فى كلماته الآتية :

(فتق الله بالحكمة ذهنك وشرح بها صدرك وأنطق بالحق لسانك وشرف به بيانك وصل إلى كتابك العجيب الذى استفهمتنى فيه بجوامع كلمك أسباب البلاغة واستكشفتنى عن غوامض آداب أدوات الكتابة سألتنى أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالته ورشاقة نظم الكتاب ومشاكلة سرده وحسن افتتاحه وختمه وإنتهاء فصوله وإعتدال وصوله ، وسلامتها من الزلل وبعدهما من الخطل ومتى يكون الكاتب مستحقاً إسم الكتابة والبليغ مسلماً له معانى البلاغة فى إرشاداته واستعارته ، وإلى أى أدواته هو أحوج وبأى آلائه هو أعمل إذا حصحص الحق ودعى إلى السبق وفهمته .

وأنا – راسم لك – أيدك الله – من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ويعبر عن جملة سؤالك وإن طولت فى الكتاب وعرضت وأطنبت فى الوصف وأسهبت

ومستقص على نفسى فى الجواب على قدر استقصائك فى السؤال وإن أخل به التياث الحال وسكون الحركة وفتور النشاط وإنتشار الروية وتقسم الفكر وأشتراك القلب والله المستعان [١]

بين إبراهيم بن المدبرفى صدر رسالته الآتى :

١ – معنى الرسالة .

٢ – الهدف من الرسالة الأدبية .

أولاً : معنى الرسالة :

الرسالة أفكار حية تعالج قضية من قضايا المجتمع بحيوية وذكاء حيث يعرض الكاتب عبر سطورها رؤيته الإيجابية التى تناقش زوايا القضية فبين أمثل الأراء للوصول إلى أرقى الحلول بموضوعية ووضوح يتذوقها المتلقى فيجد بين طياتها ما يهدى إلى هدفها ويدل على زمانها ومجتمعها فهى كلمات مرسلة حية سجلها المنشئ إستجابة لنداء طبيعى نبع من وحى المجتمع فالرسالة دعوة حية لوضع القواعد والأسس والأصول التى تهدى إلى النهضة السياسية أو الإجتماعية أو الأدبية .... الخ

---

(١) الرسالة العذراء – ابن المدبر – تحقيق د. زكى مبارك طبعة دار الكتب ١٩٣١م الطبعة الثانية ص ٥ ، ٦

ثانياً : الهدف من الرسالة الأدبية

تحدث إبراهيم بن المدبر عن أهداف الرسالة الإنشائية الأدبية فصرح أنها تهدف إلى بيان المواضع التى تغرس الجمال فى الأثر الأدبى كما أعلن أن الرسالة الأدبية يجب أن تحقق المتعة وتثير فى الوجدان والفكر بواعث الجمال عن طريق التوظيف الصحيح لأدوات الكتابة وللصياغة الأدبية العالية وقد كشفت الكلمات الأولى للرسالة عن مضمونها الذى يلقى الضوء على العناصر الآتية :

- عذوبة اللفظ وحلاوته .
- حدود فخامة المعنى وجزالته .
- رشاقة نظم الكتاب ومشاكله سرده .
- حسن افتتاحه وختمه وإنتهاء فصوله وإعتدال وصوله .
- ارتباط أدوات الكاتب بطبيعة موضوعه .

والعناصر السابقة ترمى إلى تكامل عناصر الأثر الأدبى حتى يتسم بالعذوبة والرقة والسلاسة والجمال والسحر .

وقد كتب إبراهيم بن المدبر رسالته لكتاب الأدب وعشاقه عامة وموضوعها يتمتع بالحيوية وصدق العرض مما يجعلها من البذور الطيبة التى تثمر ثمار الجودة الفنية والتميز فى بيئة الإنشاء الأدبى .

وبهذا فإن الرسالة العذراء إنشائية تشكل البناء الأدبى من وحى البيئة العربية وتساعد على تدعيم عناصره الجيدة فى الشكل والمضمون إلى جانب اهتمامها البالغ بشخصية المنشئ وضرورة حرصه على جودة أدواته كما أنها تمد الباحث بالأصول الإنشائية والأدبية وتغذى ذوق المتلقى وترتفع بثقافة المنشئ وتحفه بالتقدير النبيل لأنه أصل النهضة الأدبية فى كل زمان ومكان .

وبعد :

فقد قسم إبراهيم بن المدبر رسالته الإنشائية الأدبية إلى فقرات لكل منها قضية إنشائيةأدبية حية

-١-

ضمير الكاتب وحرصه على الحكمة

أشرقت الرسالة العذراء بأول أنوار بناء الإنشاء الأدبى فقال :

(إعلم – أيدك الله – أن أدوات ديوان المحاسن والآت المكارم طاعة منقادة لهذه الصناعة التى خطبتها وتالية نابعة لها وغير خارجة إلى جحد أحكامها ولا دافعه لما يلزمها الإقرار به لها أضراراً منها إليها وعجزا عنها فإن تقاضتك نفسك علمها ونازعتك همتك إلى طلبها فاتخذ البرهان دليلاً شاهداً والحق إماماً قائدا يقرب مسافة ارتيادك ويسهل عليك سبل مطالبها واستوهب الله توفيقاً تستنجح به مطالبك واستمحنه رشداً يقبل إليك بوجه مذاهبك فاقصد فى ارتيادك وتأمل الصواب فى قولك وفعلك ولا تسكن إلى جحود السابق باللجاح ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار ولا تستخف بالحكمة ولا تصغرها حيث وجدتها فترحل نافرة عن مواطنها من قلبك وتظعن شاردة عن مكانها من بالك وتعفى بعد العمارة من قلبك آثارها وتنطمس بعد الوضوح أعلامها) [١] بين إبراهيم بن المدبر للمنشئ فى مطلع رسالته أن أسس بناء الإنشاء الأدبى تستمد أصولها من جميع الألفاظ والمعانى كما بين أن الكتابة الإنشائية الأدبية من الصناعات الحية الثرية المتجددة التى تحتاج إلى ما يلى :

---

(١) الرسالة العذراء ص ٦

- تمتع المنشئ بالرغبة فى تحصيل العلم والحرص على الإرتشاف من ينابيعه .

- التزين بالحلم والهمة فى تحصيل المعرفة حتى يتيسر للمنشئ تحقيق هدفه .

- تمسك المنشئ بالبراهين الواضحة للإستدلال على صحة رؤيته وإصابته لمطلبه .

- التضرع إلى الله بدعاء المحب الواثق فى طلاقة علمه سبحانه وطلب العون منه جل علاه ليفتح أبواب التوفيق والرشد .

- الدقة فى عرض القضية الأدبية .

- مناقشة الأراء السابقة بوعى وبصيرة فلا يجوز للمنشئ الإستسلام لرؤية سابقة أو تكرارها حتى لا تجف عيون التجدد الأدبى كما يجب عليه تجنب المعاندة والإنكار للأراء الجيدة .

- الإهتمام بالحكم التى تساعد على ترقية الصناعة الأدبية فالحكمة منبع الثراء الوجدانى والفكرى .

- ٢ -

ثقافة المنشئ وما يجب عليه

بين إبراهيم بن المدبر فى هذه الفقرة الثقافة التى يجب أن يبنى المنشئ بها صرحه الأدبى :

(واعلم أن الإكتساب بالتعلم والتكلف وطول الاختلاف إلى العلماء ومـدارسة كتب الحكماء فإن أردت خوض بحار البلاغة وطلب أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه فى تلقيح ذهنك واستنجاح بلاغتك ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار ، والسير والأسمار ما يتسع به منطقك ويعذب به لسانك ويطول به قلمك)

يجد المتلقى للفقرة السابقة أن إبراهيم بن المدبر كشف عن ضرورة اهتمام المنشئ بالثقافة وسبيله إلى ذلك المنهج الآتى :

- المبالغة فى الحرص على التعلم .
- الحرص على حضور مجالس العلماء والإهتمام بمدارسة كتب الحكماء .
- الإطلاع على الرسائل القديمة والجديدة حتى ينقح ذهنه ويعذب لسانه ويتسم أسلوبه بالطلاقة التعبيرية .

ويذكر إبراهيم بن المدبر فى الفقرة الثالثة طبيعة المعارف التى يجب على المنشئ تحصيلها .

---

(١) الرسالة العذراء ص ٧

- ٣ -

تضمين الأشعار والأمثال

(وانظر فى كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال القرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تتوسط فى علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والشروط ككتب السجلات والأمانات فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب وتمهر فى نزع أى القرآن من مواضعها وإجتلاب الأمثال فى أماكنها وإختراع الألفاظ الجزيلة وقرض الشعر الجيد وعلم العروض : فإن تضمين المثل السائر والبيت الغابر مما يزين كتابتك مالم تخاطب خليقة أو ملكا جليل القدر فإن إجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء والجلة الرؤساء عيب وإستهجان للكتب إلاّ أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له فإن ذلك مما يزيد فى أبهته ويدل على براعته وإن شدوت من هذه العلوم ما لا يشغلك محله وتنقبت من هذه الفنون ما تستعين به على إطالة قلمك وتقويم أود بيانك [١]

يوضح ابن المدبر الثقافات التى يجب أن يحرص عليها الكاتب الأدبى منها :

---

(١) الرسالة العذراء ص ٧ ، ٨

– دراسة كتب المقامات [1] والخطب .

– تحصيل المعارف العربية والفارسية التى تتصل بطبيعة صناعة الكاتب وقد صرح ابن المدبر بضرورة تحصيل المنشئ للعلوم العربية والفارسية لبيان عوامل التأثير والتأثر وكشف عناصر الآصالة والتجديد

– الإهتمام بعلوم اللغة .

– التمهر فى فهم آى القرآن الكريم لإصابة الإستدلال بها فى الموضع المناسب .

– تضمين الكاتب كتابه الأشعار والأمثال مما يزيد من أبهته .

والمتذوق للفقرة الثالثة يدرك حرص إبراهيم بن المدبر على رقى الكتابة واعتبار فن النثر من الفنون الحية التى تشكل فكر الأمة ولهذا يجب على الكاتب النثرى ترقية كتابته بالإطلاع الواعى على الرسائل والعهود والتوقيعات والسير الفارسية .

وقد ذكر ابراهيم بن المدبر الإطلاع على الثقافة الفارسية لإتصالها بالعربية فى عهد ابن المدبر ولهذا يجب على الكتاب العرب فى كل زمان ومكان الاطلاع على الثقافات التى انتشرت فى مجتمعاتهم وتأثر بها نتاجهم الأدبى

---

(١) ترمى المقامات فى كلام ابن المدبر إلى جمع مقام وهو الخطبة أو العظة يلقيها الرجل فى حضرة الخليفة أو الملك .
النثر الفنى – زكى مبارك – جـ ١ ص ٢٠١ الطبعة الثانية .

حتى أصبحت من ملامحه .

وقد بين إبراهيم بن المدبر فى قضية تضمين الشعر أن الكتاب يزداد جمالاً إذا كان كاتبه هو القارض للشعر .

كما صرح ابن المدبر أن صناعة النثر فى حاجة إلى معرفة صاحبها كافة الفنون لغرس الحيوية فى هذه الصناعة .

— ٤ —

صفات الكتاب

ذكر ابن المدبر لمحات من صفات الكتاب فقال :

(بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة حلو الشمائل عذب الألفاظ دقيق الفهم حسن القامة بعيداً عن الفدامة خفيف الروح حاذق الحس محنكا بالتجربة عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامها وبالملوك وسيرها وأيامها وبالدهور فى تقلبها وتداولها مع براعة الأدب وتأليف الأوصاف ومشاكلة الإستعارة وحسن الإشارة وشرح المعنى بمثله من القول حتى ينصب صوراً منطقية تعرب عن أنفسها وتدل على أعيانها لأن الحكماء قد شرطوا فى صفات الكتاب طول القامة وصغر الهامة وخفة اللهازم وكثافة اللحية وصدق الحس ولطف المذهب وحلاوة الشمائل وملاحة الزى حتى قال بعض المهالبة لولده : تزيوا بزى الكتاب فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة (ومن كمال آلة الكاتب أن

يكون بهى الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الإستعارة ، لطيف المسلك ، مستفره المركب ، لا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة] (١)

تتناول الفقرة السابقة وصفا جيدا لصفات الكتاب الفكرية والبيانية والجسدية والشكلية وتتمثل الصفات الفكرية والبيانية فى ضرورة تمتع الكتاب بصفاء الذهن وجمال المنطق والقدرة على الغوص فى بحار المعانى وتحديد أبعادها ومناقشةالمفاهيم الفكرية والقضايا الأدبية بفكر راجح ولفظ حسن وعرض لطيف ينطق بحس متفتح ينبض نبضات قلوب حية تترجم درجة معايشة الأرواح للتجارب الإنسانية ويتجلى هذا التجاوب الروحى والفكرى من خلال عرض الكتاب لأفكارهم الذى يبلور صدقهم الشعورى المتولد عن تجارب حية غذتها المعرفة بعلوم الكتاب والسنة والتاريخ والسير مع ضرورة تمتع الكتاب ببراعة الأدب والإبداع التصويرى الذى يجعل العبارات تجسد بمهارة الأشكال والحركات والهيئات والأصوات والألوان .

وبهذا يشير إبراهيم بن المدبر إلى ضرورة تمتع كتاب التاريخ والسير بمهارة تصويرية وقدرة بيانية تجذب الباحثين والدارسين كما يعلن وجوب

(١) الرسالة العذراء – ص ٨ ، ٩

تمتع كتاب الأدب بعاطفة فياضة وبقلم ماهر يميزهم عن غيرهم من الكتاب.

ويتحدث إبراهيم بن المدبر عن صفات الكتاب الجسدية والشكلية وتتمثل الجسدية فى طول القامة وصغر الهامة وخفة اللهازم (١) وكثافة اللحية ، وصدق الحس ولطف المذهب وهذه الصفات سجلها ابن المدبر من وحى البيئة العربية والواقع أنها صفات توحى بسمات الرفعة والشرف وتجذب الباحث لارتشاف ينابيع المعرفة من الكتاب الذين يمثلون فكر الأمة ونهضتها الحضارية .

أما الصفات الشكلية فتتجسد فى جمال الزى وحسن مظهره وأناقته وبهجته وروعة تناسقه ولعل إبراهيم بن المدبر يبين أن جمال المنظر وروعته تمد الدراسين بسحر العلم وحلاوة المعرفة ويغرس فى نفوسهم البهجة والنشوة والسرور والواقع أن حسن مظهر المعلم والكاتب والشاعر من البذور التى تثمر ثمار الإقتناع والقبول لأفكار وآراء هذه الطبقة الرائدة التى تمثل أنوار النهضة الفكرية .

– ٥ –

طبقات الكلام

بين إبراهيم بن المدبر أصول منهج مخاطبة طبقات المجتمع فقال :

(وخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وتفطنه وانتباهه

---

(١) جمع لهزمة وهى عظم ينشأ تحت الأذن .

واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام : فأربعة منها للطبقة العلوية وأربعة دونها ولكل طبقة منها درجة ولكل قسمة حظ لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ، ويقلب معناها إلى غيرها : فالطبقة العليا الخلافة التى أعلى الله شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل والطبقة الثانية الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ويرتقون الفتوق بآرائهم ويتجملون بآدابهم . الثالثة أمراء ثغورهم وقواد جيوشهم ، يخاطب كل أمرئ منهم على قدره وبما حمل من أعباء أمورهم وجلائل أعمالهم الطبقة الرابعة القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء وحلية الفضلاء فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء .

أما الطبقات الأربع الأخرى : فالملوك الذين أوجبت نعمتهم تعظيمهم فى الكتب وأفضالهم تفضيلهم فيها . والثانية وزراؤهم ، وكتابهم وأتباعهم الذين بهم تقرع أبوابهم وبعنايتهم تستماح أموالهم والثالثة هم العلماء الذين يجب توقيرهم فى الكتب لشرف العلم وعلو درجة أهله الرابعة لأهل القدر والجلالة والظروف والحلاوة والعلم والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، [وأدبهم وتصفحهم] إلى الاستقصاء فى مكاتبهم) [١]

ناقش كاتبنا أسس منهج مخاطبة الطبقات المختلفة التى يتكون منها المجتمع فقسمها إلى ثمانية أقسام أربعة للطبقة العلوية وأربعة دونها وتضم

(١) الرسالة العذراء ١٠ ، ١١

الطبقة العليا الخلفاء والثانية الوزراء والكتاب والثالثة الأمراء وقواد الجيش والرابعة القضاة وقد صرح ابراهيم بن المدبر أن لكل طبقة من الطبقات السابقة منزلتها وشرفها وجلالها ولهذا يجب على من يخاطبهم إدراك ما لهم من أبهة وهيبة أما الطبقات الأربع الأخرى فالملوك والثانية وزراؤهم وأتباعهم والثالثة العلماء والرابعة أهل القدر والجلالة والظرف وقد أجاد إبراهيم بن المدبر فى هذا التقسيم النابع من وحى المجتمع العربى العباسى وأحسن عند رفع من قدر وزراء الخلفاء على قدر وزراء الملوك ومرجع ذلك أن الخلفاء طبقة أعلى الله شأنها لأنها تمثل كلمته سبحانه على الأرض وتقسيم كاتبنا يناسب ظروف البيئة فى العصر الحديث .

– ٦ –

أقــدار المخاطبين

تحدث إبراهيم بن المدبر عن طبقات الكلام وأصول مخاطبة الطبقة العليا وغيرها من الطبقات ثم بين المعانى والمذاهب التى يجب الإلتزام بها فى مخاطبة كل طبقة فى عرض موضوعى جيد :

(واستغنينا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة لاستغنائهم بتجارتهم عن هذه الآلات وإشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراعيها فى مراسلتك إليهم فى كتبك وتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه ، وتوفيه نصيبه ، فإنك

متى أضعت ذلك لم آمن بك أن تعدل بهم غير طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم وتجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه وتنظم جوهر كلامك فى غير سلكه فلا تعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا جزلا لائقا بمن كاتبته ومشابها لمن راسلته فإن إلباسك المعنى وإن شرف وصلح لفظاً مختلفا عن قدر المكتوب إليه لم تجر به عادتهم تهجين للمعنى وإخلال بقدره وظلم لحق المكتوب إليه ونقص مما يجب له ، كما أن فى اتباع تعاونهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سننهم قطعاً لعذرهم ، وخروجا من حقوقهم ، وبلوغا إلى غير مرادهم وإسقاطا لحجة أدبهم فمن الألفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها فى كتب السادات والأمراء والملوك ، على اتفاق المعانى ، مثل : « أبقاك الله طويلا وعمرك مليا » وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : (أطال الله بقاءك) ، وبين قولهم : (أبقاك الله طويلا) ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا ، وأنبه قدرا ، فى مخاطبة الملوك ، كما أنهم جعلوا « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلة فى كتب الظرفاء ، والأدباء من « جعلت فداك » ، على إشتراك معناه واحتماله أن يكون فداء من الخير كما يكون فداء له من الشر . ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبى وقاص : « فداك أبى وأمى » لكرهت أن يكتب بها أحد على أن كتاب العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراهم فى مخاطبة الشريف والوضيع والصغير والكبير .... وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل « أبقاك الله

وأمتع بك ، إلا إلى الحرمة والأهل والتابع والمنقطع إليك وأما فى كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذموم مرغوب عنه ....) [1] .

تشير الفقرة السابقة إلى ارتباط المعانى والمذاهب بطبيعة الطبقة التى يراسلها الكاتب فبين وجوب الالتزام بأسس بلاغة العبارة وفصاحة الكلمة وعمق المعنى ووضوحه ووضعه فى موضعه المناسب حتى تتميز صياغته بحسن النظم وجمال العرض ودقة الأسلوب وذكاء التناول ولهذا يجب على الكاتب معرفة طبيعة من يراسله فيخاطبه بأسلوب يثير كوامن فكره ووجدانه ويتطلب ذلك من الكاتب الغوص فى أعماق من يراسله ومعرفة سماته الفكرية والنفسية ليحقق الهدف من رسالته المتمثل فى إحداث التجاوب المتولد عن الرضا بالفكرة التى طرحها الكاتب على من يراسله ويصرح ابن المدبر أن شرف النظم ينبع من إدراك الكاتب تكوين من يراسله فينتقى ألفاظ صورته بحس أدبى وذكاء فنى حتى تثمر الرسالة ثمرتها المرجوة فى إحداث عملية التأثير والتأثر .

وقد بين ابن المدبر أن استخدام الألفاظ يرتبط بالعادات والتقاليد والقيم التى يؤمن بها من يخاطبه الكاتب حتى يصبح المعنى شريفا فالمعنى الشريف هو الذى يتفق مع الألفاظ التى تناسب قدر من يخاطبه الكاتب .

ويشير إبراهيم بن المدبر إلى صور افتتاح صدور رسائل الأمراء والملوك

---

(١) الرسالة العذراء ص ١١ : ١٤

وكتب الظرفاء فيرى أن الكتاب استحسنوا (أبقاك الله طويلاً) فى صدور كتب الظرفاء والأدباء التى تخاطب الطبقات الشريفة ويعلن أن هذه العبارات لا تكسب المعنى الرونق كما يعتقد بعض الكتاب بل أنها تصيب الرسالة بالتقليد والمحاكاة والجمود ولهذا يجب على الكاتب استخدام العبارات التى توحى بالدلالات الاجتماعية والفكرية والوجدانية حتى تصبح صياغته استجابة طبيعة لموضوع فكرته .

– ٧ –

صدور كتب السلف

كشف ابن المدبر فى الكلمات الآتية عن شرف منهج كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(وأما صدور السلف فإنما كانت : من فلان بن فلان إلى فلان كذلك جرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء بن الحضرمى وإلى أقيال اليمن ، وإلى كسرى وقيصر ، وكتب أصحابه والتابعين كذلك ، حتى استخلص الكتاب هذه المحدثات من بدائع الصدور ، واستنبطوا لطيف الكلام ، ورتبوا لكل رتبة ، وجروا على تلك السنة الماضية إلى عصرنا هذا فى كتب الخلفاء والأمراء وثبتوا على ذلك المنهاج فى كتب الفتوحات والأمانات والسجلات)[١]

(١) الرسالة العذراء ١٥

إستحسن ابن المدبر افتتاح صدور رسائل السلف مبيناً أن منهج كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المنهج المثالى الرفيع الذى يجب أن تشرق به صدور الرسائل حتى تتمتع بالموضوعية التى تحقق الصدق الذى يثمر الشعور بقبول مضمون الرسالة ، وينشرعليها سمة الوضوح وسحر الواقعية .

ومن الجدير بالذكر أن ابن المدبر لم يستحسن العبارات (أطال الله بقاءك) ، (أكرمك الله وأبقاك) و (أبقاك الله وأمتع بك) لما فيها من تصنع وتكلف يصيب الرسائل بالجمود الوجدانى أما منهج كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم (من فلان بن فلان إلى فلان) فيدل على رقة الطبع وجمال البساطة ويغرس فى نفس المتلقى روح المساواة البشرية الراقية ويختم ابن المدبر فقرته السابقة بالحث على التمسك بمنهج كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تتميز الرسائل بروح البيئة الإسلامية العربية .

– ٨ –

تفقد الألفاظ والمعانى

عالج ابن المدبر فى هذه الفقرة قضية الاختيار الدقيق الواعى للألفاظ والمعانى قائلاً :

(لكل مكتوب إليه قدر ووزن ينبغى للكاتب ألا يتجاوز به عنه ، ولا يقصر

به دونه . وقد رأيتهم عابوا الأحوص (١) حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم   مذق الحديث يقول مالا يفعل

فهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا أقدارالملوك أن يمدحوا بما يمدح به العوام ، لأن صدق الحديث وانجاز الوعد ، وإن كان مدحاً فهو واجب على كل ، والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم بالنوافل ، لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تزني بحليلة جارك ، وإنك لا تخون ما استودعت ، وإنك تصدق في وعدك وتفي بعهدك ، كان قد أثنى بما يجب ولكنه لم يصل بثنائه إلى مقصده ، وقال ما لا يستحسن مثله في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير تولى من أمور المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ، غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكيس هو العقل إذا

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري من بني ضبيعة شاعر هجاء صافي الديباجة من طبقة جميل بن معمر كان معاصر لجرير والفرزدق وهو من سكان المدينة وفد على الوليد بن عبد الملك في الشام فأكرمه .
وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على الشعراء زمانه ولقب بالأحوص لضيق في مؤخرة عينه وكنيته ابن حبيب ، وأبو عاصم .
له ديوان شعر مطبوع وأخباره كثيرة .
– الأعلام – الزركلي جـ ٤ ص ١١٦ – بيروت ، شعر الأحوص الأنصاري – د. شوقي ضيف دار المعارف – طبعة ١٩٧٠م

عنوا به ضد الحمق ولكنك لو وصفت رجلاً فقلت : إن فلانا لعاقل كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت إنه كيس كنت قد قصرت فى وصفه ، وقصرت به عن قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ، لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيث جرت منها العادة فى استعمالها فى الظاهر مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصغر السن .... ونعلم أن الصلاة رحمة غير أنهم قد حرموها إلا على الأنبياء كذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه وسمع سعد ابن أبى وقاص أخا له يلبى ويقول ياذا المعارج ، فقال : نحن نعلم انه ذو المعارج ولكن ليس كذلك كنا نلبى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول : لبيك اللهم لبيك ! ...) [١] .

المتلقى الفقرة السابقة يدرك ملامح النقد الإجتماعى الأخلاقى فقد بين ابن المدبر وجوب الاختيار الدقيق للألفاظ التى تعبر عن المعانى ولهذا يجب على الكاتب أن يتمتع بحس مرهف وذوق رفيع يستطيع به إقتناء الألفاظ التى تعكس بجلاء صورا حية تناسب المكتوب له ويستدل إبراهيم بن المدبر على صحة رؤيته بالنقد الذى أخذ على مدح الأحوص حينما مدح الملوك بصفات شريفة واجبة لهم كما بين فى لمسة نقدية طريفة أن الوصف يختلف من طبقة لأخرى وأن للكلمة أبعاداً إجتماعية وفكرية ونفسية ودلالات توحى بمراد الكاتب ولهذا يجب على المنشئ تذوق التراث النقدى الأدبى لمعرفة الفروق

(١) الرسالة العذراء ص ١٥ : ١٧

المعنوية الدقيقة بين الألفاظ والتى يدركها أهل العلم باللغة فهناك أساليب جرت العادة على استعمالها واستحسنها العامة ورفضها أهل اللغة ولكل أسبابه فالعامة تأخذ بالظاهر أما أهل العلم باللغة فهم أصحاب خبرة ودراية يتمتعون بحس مرهف وبصيرة واعية بدلالات الألفاظ وأبعادها .

– ٩ –

وضع العبارات فى موضع المعانى

تناول ابن المدبر فى هذه الفقرة الحديث عن مطابقة العبارات للمعانى الإجتماعية والوجدانية :

(فامتثل هذه الرسوم والمذاهب واجر على آدابهم ، فلكل رسوم امتثلوها وتحفظ فى صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمها ، ووضع كل معنى فى موضع يليق به ، وتخير لكل لفظه معنى يشاكلها وليكن ما تختم به فصولك فى موضع ذكر الشكوى بمثل : والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وفى موضع ذكر البلوى : نسأل الله رفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء ، وفى موضع ذكر المصيبة بمثل : إنالله وإنا إليه راجعون ، وفى موضع ذكر النعم بمثل والحمد لله خالصا ، والشكر لله واجبا ، فإنها مواضع ينبغى للكاتب تفقدها ، وإنما يكون كاتبا إذا وضع كل معنى فى موضعه ، وعلق كل لفظه على طبقها من المعنى ، فلا يجعل أو ما ينبغى له أن يكتب فى آخر كتابه ولا آخره فى أوله ، فإنى سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول : لا ينبغى للكاتب أن

يكون كاتباً حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدم آخره) [1] تتصل هذه الفقرة بالسابقة لها حيث تعلن كل منهما أن مهارة الكاتب تتجلى فى قدرته الفنية على اختيار الصياغة المعبرة عن المعانى بدقة ووضوح فقد بين أولا ضرورة الاختيار الدقيق للألفاظ المعبرةعن المعانى ثم بين ثانياً ضرورة الاهتمام بالعبارات التى تشاكل المعانى ووضعها فى موضعها الذى يناسبها وعلى سبيل المثال العبارات التى تناسب الشكوى لا تناسب موضوع الثناء أو الوصف مثل (والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل) فهى تناسب الشكوى ولا يجوز استعمالها فى مواضع المدح أو الوصف أو النصح والإرشاد ويمعن كاتبنا فى العناية بالعبارات التى تناسب المعانى فبين ضرورة ارتباط الصدور بالفصول مع عمق ارتباطهما بالخاتمة حتى يصبح الكتاب نغمات تهدى بعضها إلى بعض عبر تجربة صادقة تنطق العبارة الأولى بمراد الثانية وتعكس الأخيرة الصورة التى يهدف إليها الكتاب من خلال تناسق تعبيرى يبنى بعضه البعض بحيث لا يجوز لأحد أن يؤخر أو يقدم عبارة على أخرى أو يبدل وضع لفظة مكان لفظة .

— ١٠ —

محاكاة القرآن الكريم فى الحذف والإيصال

تحدث ابن المدبر عن محاكاة القرآن الكريم فقال :

---

(١) الرسالة العذراء ص ١٧

(واعلم انه لا يجوز فى الرسائل ما أتى فى أى القرآن من الإيصال والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لأن الله سبحانه وتعالى إنما خاطب بالقرآن أقواماً فصحاء فهموا عنه – جل ثناؤه – أمره ونهيه ومراده والرسائل إنما يخاطب بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب وكذلك ينبغى للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس ، فإنه إن ذهب على مثل قوله تعالى :

(وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) . وقوله تعالى : (بل مكر الليل والنهار) احتاج أن يبين (أن معناه : أسأل أهل القرية وأهل العير) وبل مكركم الليل والنهار ومثله فى القرآن كثير [1]) .

تعرض ابن المدبر فى فقرته السابقة لقضية محاكاة القرآن الكريم فى الإيصال والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص وبين أن هذه السمات اختص بها القرآن الكريم لأن الله جل علاه خاطب به فصحاء العرب أما الرسائل فيخاطب بها الدخلاء على اللغة وهم قوم لا علم لهم بأسرار اللغة العربية كما بين ابن المدبر أن الكاتب الجيد البليغ يتجنب اللفظ المشترك الذى يوحى للمتلقى يتعدد الدلالات المعنوية مما يسبب اضطراب الصورة فى ذهن المتلقى .

ويشير ابن المدبر فى فقرته السابقة إلى الإهتمام بخصائص الرسالة الفنية

---

(١) الـرسـالـة العذراء ص ١٨

وأهمها الوضوح والإختيار الدقيق للألفاظ التى تعبر عن المعانى بصورة محددة لا تحدث الشك .

- ١١ -

ما يجوز فى الشعر دون الرسائل

ذكر ابن المدبر أن للرسائل منهجا فنيا يجب أن يلتزم به الكاتب ويحرص عليه حتى تتسم كتابته بالجودة فما يجوز فى نظم الشعر لا يجوز فى كتابة الرسائل :

(ولا يجوز فى الرسائل ما يجوز فى الشعر لأن الشعر موضع اضطرار فاغتفروا فيه الإغراب وسوء النظم والتقديم والتأخير والإضمار فى موضع الإظهار ...... وكذلك ينبغى فى الرسائل ألا يصغر الأسم فى موضع التعظيم وإن كان ذلك جائزاً .

ومما لا يجوز فى الرسائل كلمة إياك ، وأعنى إياك وإساءة النظم فى التأليف فى الشعر كثير وتكون الكلمة بشعة حتى إذا وضعت موضعها وقرنت مع أخوتها حسن حالها وراقت كقول الحسن بن هانئ [1] :

---

(١) الحسن بن هانئ (٧٦٣ - ٨١٤م) شاعر العراق فى عصره قال أبو عبيدة أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين وأنشد له النظام شعرا ثم قال : هذا الذى جمع له الكلام فاختار أحسنه وأجود شعره خمر باته وله ديوان شعر مطبوع وديوان آخر سمى (الفكاهة والائتناس فى مجون أبى نواس) ولابن منظور كتاب سماه (أخبار أبى نواس) .
الأعلام - الزركلى - جـ ٢ ص ٢٢٥ - بيروت .

* ذو حضر أفلت من كد الفيل *

والكد كلمة قلقة لا سيما فى الرقيق والغزل والتشبيب غير أنها لما وقعت فى موضعها حسنت ، كما أن اللفظة العذبة إذا لم توضع موضعها نفرت .....)[١]

صرح ابن المدبر فى فقرته السابقة أن الشعر يخضع لمواضع اضطرار تنبع من الإيحاء الوجدانى والإجتماعى للشاعر تدفعه إلى التقديم والتأخير والإضمار فى موضع الإظهار ولا ينبغى لكاتب الرسائل أن يسلك مسلك الشاعر فى التظم فما يستحسن فى الشعر لا يستحسن فى الرسائل وعلى سبيل المثال قد يقبل تصغير الإسم فى الشعر ويرفض فى الرسائل وخاصة فى موضع التعظيم .

ويشير ابن المدبر إلى أن مقياس الجودة فى النظم والنثر ينبع من قدرة المنشئ على التوظيف الجيد للألفاظ الذى يتولد من الإحساس البصير بكيفية تركيب الصورة .

وقد ضرب ابن المدير مثلا يستدل به على وجوب النظر إلى الصياغة المركبة لا اللفظة المفردة فقد يشعر المتلقى بالنفور من لفظة مفردة ولكنها إذا وضعت فى نظم يستدعى وضعها دون غيرها حسنت وراقت مثل كلمة (كد) التى توحى بالقلق الذى لا يناسب الغزل ولكنها عندما وضعت موضعها عبر صورة جيدة عذبت وحسن نظمها .

---

(١) الرسالة العذراء ص ١٩ : ٢١ .

صدور الرسائل وخواتمها

ناقش ابن المدبر فى الكلمات الآتية قضية الإفصاح عن مضمون الرسالة فقال : (وليكن فى صدر كتابك دليل واضح على مرادك وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك حيثما جريت فيه من فنون العلم نزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات فإن ذلك أجزل لمعناك وأحسن لاتساق كلامك ، ولاتطيلن صدر كلامك إطالة تخرجه عن حده ولا تقصر به عن حقه .

ولو صور اللفظ وكان له حد لوقفتك عليه ، غير أنهم فى الجملة كرهوا أن يزيدوا سطور كتب الملوك على سطرين وهذه إشارة لا تعبر إلا عن الجملة من المقصود إليه ، لأن الأسطر غير محددة) [١]

يجد المتلقى للفقرة السابقة لمحات نقدية جيدة تكشف عن عنصر من عناصر الجودة الفنية يتجلى فى وضوح التجربة فى نفسية المنشئ مما يهدى إلى طبيعة الهدف من الرسالة وقد بين ابن المدبر لكاتب الرسالة ضرورة وضوح رؤيته فى نفسه حتى يكون قادراً على التعبير الجيد الذى يفصح عن مراده وتبرز القدرة التعبيرية الفنية للكاتب من صدر كتابه وتنكشف فى افتتاح كلامه فهما عنوان بلاغته وعلامة على تمكنه من فنون العلم ويعلن ابن المدبر أن وضوح الصدر والافتتاح يميز الرسالة بجزالة المعنى وحسن التناسق

---

(١) الرسالة العذراء ص ٢٢

بالصياغة التى تعبر عن المعنى بدقة مع تجنب الإطالة التى تصيب الصدور بالضعف الفنى وتجنب الإيجاز الذى يصيبها بالإخفاق البلاغى ولهذا يجب الإحساس البصير المرهف بدواعى البناء الفنى للرسالة .

ويرى ابن المدبر أن تحديد عدد الأسطر يرتبط بطبيعة مضمون الرسالة الذى يجب أن يتسم بوضوح الرؤية من خلال المنهج الأدبى الفنى الجيد .

– ١٣ –

إصـــلاح الدواة

ذكر ابن المدبر لكتاب الرسائل العناصر الحسية التى تشكل ملامح الجمال وسحر المنظر فقال :

(واعلم أن أول ما ينبغى لك أن تصلح آلتك التى لابد لك منها ، وأدواتك التى لا تتمم صناعتك إلا بها : وهى دواتك فأبدأ بعمارتها وإصلاحها ؟ وتخير لها ليقة نقية من الشعر والوذج لئلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك ، ويشغلك بتنقيته ، وخذ من المداد الفارسى خمسة دراهم ، ومن الصمغ العربى درهما ، وعفصا مسحوقا نصف درهم ، ورماد القرطاس المحرق درهمين ، ثم تسحقها وتغربلها ببياض البيض ، ثم بندقها واجعلها فى الظل ، فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرته وحشوت به دواتك ، وإذا نقعته فى ماء السلق حتى ينحل ويذوب ويختمر ثم أمددت من مائه دواتك كان أجود

وأبقى . ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القلم الذى يصلح لكتابة القراطيس أقله عقدا وأكثفه لحما ، وأصلبه قشرا ، وأعد له استواء ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت فإنها ما تصلح إلا للكواغد والرقوق) [١]

يجد المتلقى للفقرة السابقة عناية ابن المدبر بالعناصر المادية التى يستخدمها الكاتب لإعداد الرسالة فتحدث عن كيفية إعداد الكاتب آلته التى يسطر بها صناعته وأولها الدواة وما يتعلق بها من مداد وأنابيب القلم وقد بين ابن المدبر أن الصورة الشكلية للرسالة توحى بمنزلة من تقدم له وبقيمة موضوعها والواقع أن الهيئة التى يقع عليها البصر لها التأثير العميق الذى يجذب المتلقى فالمناظر والمشاهد العامة لها القدرة المباشرة على الإيحاء الذى يعد الضوء النفسى الأول لإحداث المشاركة الإيجابية بين الكاتب ومن يسطر لهم الرسالة .

ونحن نلمس هذه الحقيقة فى جميع مظاهر الحياة وعلى سبيل المثال أن الكتاب الجيد فى تجليده وطباعته يجذب الباحث رغم عدم علمه بالمضمون .

= ليقة : ما يوضع فى الدواة من صوف أو خرقة .
= الوذج : بالذال المعجمة ما تعلق بأصواف الغنم .
= الأنابيب : جمع أنبوب وهو من القصب والقنا
(١) الرسالة العذراء ص ٢٢ ، ٢٣

- ١٤ -

الأقلام والقراطيس

اهتم ابن المدبر بأدوات الكاتب لأنها الوسيلة التى تبرز أسرار صنعته وتعكس مهارته الفنية ولهذا تحدث عن الدواة وما يتعلق بها ثم أشار إلى القلم والقرطاس فقال :

(واجعل لقلمك براية حادة ، فإن تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ناقص مروءته ومخل بظرفه . وإن قدرت ألا تقطع القرطاس إذا فرغت من كتابك إلا بخرطوم قلمك فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك وأبدع لظرفك وقطعك .

واستعمل لبرى القلم سكينا طواويسيا مذلق الحد ، وميض الطرف ، فيكون ذلك عونا لك على برى أقلامك ، فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ولئن قيل : كأنه الرمح الردينى فقد قال الكاتب : كأنه القلم البحرى .

وتفقد الأنبوبة قبل بريها لئلا تجعلها منكوسة وأبرها من ناحية نبات القصبة ، وأرهف ما قدرت جانبى قلمك ، ليرد ما انتشر من المداد ، ولا تطل شقه فإن القلم لا يمج المداد من شقة إلا مقدار ما احتملت شبتاه ، فادفع شبتيه ليجمعا لك حواشى تحضيره ، وأما قط القلم فعلى قدر القلم الذى يتعاطاه الكاتب من الخط ، غير أن المسلسل لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم المربع القط ، كما

أن كتب الملوك والسجلات ولا تحسن إلا بالقلم المحرف ، وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه ، والمقصود إليه فى النوائب والمهمات .

ورأيت كثيرا من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجعده وتجانسه ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفا . أما الموشع والمولع والمديح والمنمنم والمسهم فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه ،

وأما حسن الخط فلا حد له . قال على بن وزير النصرانى الكاتب : أعلمك الخط فى كلمة واحدة : لا تكتبن حرفا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى لا تعجل عنه إلى غيره] [١]

يجد المتلقى فى الفقرة السابقة عناية ابن المدبر بسبل أدوات الكتابة فقد حث الكاتب على الإهتمام بإعداد القلم والقرطاس مبينا أن جودتهما دلالة على شرف منزلته وقد كشف ابن المدبر للكاتب كيفية تجهيز القلم حتى ينطق الخط بالمضمون ويوحى بالدلالات المعنوية والمادية بجلاء وقد أحسن ابن المدبر فى تصويره [فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس] فبين قيمة القلم العالية للكاتب حينما جعل أهمية القلم للكاتب مثل أهمية الرمح للفارس فالكاتب يترجم أفكاره ويجسد مهارته الإبداعية بواسطة القلم وكذلك الفارس تتجسد شجاعته ومهارته بواسطة الرمح مما يدل على أن التميز فى كل أمور

(١) الرسالة العذراء ص ٢٣ : ٢٥

الحياة لا يحدث إلا بتأهيل الأدوات التى تناسب صناعة الإنسان .

ويشير ابن المدبر إلى الإهتمام بإعداد القلم وتجهيزه بصورة تناسب طبيعة الخط الذى يعبر عن طبيعة الموضوع فلكل مضمون صورة شكلية يخطها القلم خطا يترجم الدلالات الإجتماعية والسياسية والأحاسيس والمشاعر .

والمتذوق الكريم يشعر بمنزلة الخط من العبارة الآتية :

(أعلمك الخط فى كلمة واحدة : لا تكتبن حرفا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى لا تعجل عنه إلى غيره) .

فقد كشفت العبارة للكاتب أن الخط من العناصر التى تميز رسالته ولهذا يجب الإهتمام به والحرص على اتقانه وقد وضحت العبارة كيفية العناية بالخط فذكرت للكاتب ضرورة الاعتكاف على كتابة الحرف وكأنه وحده هو الهدف الذى يعبر عن مراد الرسالة حتى يخرج الحرف المكتوب معبرا عن طبيعة المضمون والواقع أن حديث ابن المدبر عن الخط يوحى بما له من إيحاء إيجابى كما يبين إهتمام كتاب العرب بجميع عناصر بناء النثر .

– ١٥ –

النقط والشكل

حرص كتاب العرب على أدوات الكاتب من داوة ومداد وقلم وقرطاس

وخط كما حرصوا على ضبط الكلمات التى يحدث عدم تشكيلها اضطرابا فى استقبال المعنى :

(وإياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المعضل الذى تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجه ......) [1]

تبين الكلمات السابقة حرص ابن المدبر على وضوح الألفاظ فى ذهن المتلقى ولهذا بين لكاتب الرسالة الإهتمام بوضوح الألفاظ المعبرة عن المعانى وتشكيلها عند الضرورة .

- ١٦ -

الصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن المدبر للكاتب سرا من أسرار قبول رسالته فقال :

(ولا تغفل الصلاة على النبى عليه والصلاة والسلام .... وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تجعلونى كقدح الراكب » ولكن اجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وأخره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولاً وأوسط وآخرا .

وأحب أن تجعل بدل الأشارة التراب فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال أتربوا كتبكم فإنه أنجح للحاجة) .

---

(١) الرسالة العذراء ص ٢٥

بين ابن المدبر فى الفقرة السابقة أن الرسائل تستمد نجاح هدفها وإصابة مرادها من أنوار الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم ففيها القوة والصدق كما أن الدعاء المصحوب بذكر المصطفى يمنح الرسالة الجلال والهيبة ولهذا قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (إجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولاً وأوسط وآخر .

وقد ذكر ابن المدبر لكاتب الرسالة أن الحفاظ على شكل الخط ووضوح حروفه يرجع لسرعة تجفيف مداده عن طريق الإتراب [1] وهى طريقة مثالية فى هذا العصور .

– ١٧ –

الإهتمام بالتاريخ

ذكر ابن المدبر أن من سمات الرسائل الجيدة الإهتمام بالتاريخ فقال :

(ولا تدع التاريخ فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها ، وانظر إلى ما مضى من الشهر وما بقى منه : فإن كان الماضى أقل من نصف الشهر قلت لكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقى أقل من النصف قلت لكذا أيضا بقيت .

---

(١) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تربوا صحفكم أنجح لها إن التراب مبارك) . سنن ابن ماجة – جـ٢ ص ١٢٤٠ باب تريب الكتاب طبعة بيروت ، كنز العمال – علاء الدين على – جـ ٦ ٥١٧ الطبعة الخامسة طبعة بيروت .

(٢) الرسالة العذراء – ص ٢٦ ، ٢٧

وقد قال بعض الكتاب : إن الماضى من الشهر تحصيه والباقى لا تحصيه ، لأنك لا تدرى أيتم الشهر أم ينقص ؟ وليس هذا بشئ ، لأن تاريخ الكتاب ليس من الأحكام فى شئ ، ما على الكاتب أن يكتب إلا ما ظهر وتبين لا بما يظن)[1] وضح إبراهيم بن المدبر لكاتب لرسالة ما يجب أن يلتزم به فى تسجيل الأخبار والأحداث والسير مثل ذكر التاريخ لما فى ذلك من الدقة والتحقيق وقد بين كيفية تحديد الكاتب للتاريخ حتى يتسم عمله بالواقعية التى تهدى الباحثين لخصائص الحقبة التى سجلت فيها الرسالة ولهذا يجب على الكاتب أن يكتب ما ظهر وتبين من التاريخ فالماضى من الشهر يحصيه ويحدده والباقى لا يحصيه .

– ١٨ –

إسحاء الكتب وختمها وإلصاق القراطيس

تتناول الفقرة الآتية كيفية تجهيز الكتب قائلا :

(ولا تجعل سحاة [1] كتبك غليظة إلا فى العهود والسجلات التى تحتاج إلى خواتمها وطوابعها ، فإن محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر أخبر عنهم أن عبد الله بن طاهر كتب إلى العراق فى إشخاص كاتب كان كتب إليه فكتب وغلظ سحاة كتابه ، فرد الكتاب إليه ، فقدم عليه راجيا لبره وجائزته

---

(١) السحاة : ما شد به الكتاب من خيط ونحو .

فقال عبد الله بن طاهر : إن كان معك مسحاه فاقطع خرم كتابك وانصرف وراءك .

وكذلك لا تعظم الطينة [1] ، ففي المثل : من عظم الطينة فإنه ملوم ولا تطبعها إلا بعد عنواناتها ، فإن ذلك مراد يهم .

وقد يجب عليك علم إلصاق القراطيس ومحوها لم أر شيئاً فى إلصاقها ألطف من أن ينقع الصمغ العربى فى الماء ساعة حتى يذوب ثم يلصق به وكذلك ماء الكثير أو النشاستج ثم تطويه طيا رقيقا وتجعله فى منديل نظيف ويوضع تحت وسادة حتى يجف وأما محلولها فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه ، غير أنه ينبغى له ألا يلقط السواد من القرطاس إلا بمثل الشمع المسخن واللبان الممضوغ ، وما أشبههما ، ثم يكون لقطة رويدا رويدا كلما لقط جانبا حوله إلى الجانب الآخر)[2] .

وضح ابن المدبر أصول إعداد كتب العهود والسجلات وطريقة ختمها وكيفية إلصاق القراطيس ومحوها وقد حث صاحب الرسالة العذراء الكتاب على معرفةفن إلصاق القراطيس .

والفقرة السابقة تدل على درجة مهارة الكتاب وتمكنهم من ثمار الفنون فهم يعدون مدادهم ويجهزون أقلامهم ويسطرون أفكارهم ثم يلصقون كتبهم وهذا

---

(١) يقال طينت الكتاب إذا جعلت عليه طين الخاتم .
(٢) الرسالة العذراء ص ٢٧ ، ٢٨

يشير إلى إزدهار النهضة الأدبية ومنزلة الكتاب فى العصر العباسى الذى تجلى فيه سحر اندماج الحياة العربية بالفارسية فقول ابن المدبر عن كيفية إلصاق الكتب يدل على أن التأثير والتأثر بين العرب والفرس لم يقتصر على الحياة العقلية فحسب بل تغلغل فى أسلوب الحياة العملية :

(ولم أر شيئاً فى إلصاقها من أن ينقع الصمغ العربى فى الماء ساعة حتس يذوب ثم يلصق به ، وكذلك ماء الكثير أو النشاستح .....) [1]

— ١٩ —

قراءة الكتب المختومة وتضمين الأسرار

تحدث ابن المدبر عن أساليب الكتابة السرية وسبل كشفها فقال :

(وأما قراءة الكتب المختومة والتلطف لفض خواتيمها فمما لا نذكره خوفا من سفيه .

وأما تضمين الأسرار حتى لا يقرأها غير المكتوب إليه ففيه أدب ، وقد تعلقت العامة بالقمى والإصبهائى فيجب أن تبدل الحروف تبديلا يخفى وألطف من ذلك أن تأخذ لبنا حليبا فتكتب به فى قرطاس فيذر المكتوب إليه وعليه رمادا حازا من رماد القراطيس فإنه يظهر وإن كتب بماء الزاج وذر عليه العفص المدقوق بزاج أو بماء العفصى وذر عليه شيئا من الزاج أم ينفع

---

(١) الرسالة العذراء ٢٧ ،٢٨ فقرة ١٨

= ماء الكثير : طلع النخل .

شيئا من وشق ثم تكتب به ثم نثرت عليه الرماد فإنه يظهر ، وإن أحببته لا يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة) [1]

يشرح ابن المدبر لكاتب الرسالة القواعد الراقية المتبعة التى يجب الإلتزام بها عند قراءة الكتب المختومة كما بين ضرورة الحرص على أسرار المكتوب إليه ففى ذلك ما ينم عن أدب الكاتب وشرف أسلوبه وذكاء منهجه ويتم ذلك بالسبل التى تناسب درجة أهمية الرسالة ومنزلة من تكتب إليه فقد تبدل الحروف تبديلا يخفى حيث تكتب بواسطة لبن الحليب أو بماء الزاج فى القرطاس حتى تصل إلى المكتوب إليه فى طى الأمان وقد كشف ابن المدبر طرق إظهار الحروف بالسبل التى تناسبها وتتمثل فى تراكيب من الأعشاب الطبيعية مثل الوشق [2] أو نثر الرماد عليها فإنه يظهرها بجلاء وقد أمعن ابن المدبر فى الحرص على سرية مضمون الرسالة فبين للكاتب وجوب كتابتها

(١) الرسالة العذراء ص ٢٨ ، ٢٩
(٢)انوع من الأعشاب
العفص : ليس من نبات أرض العرب والعفص : حمل شجرة البلوط تحمل سنه بلوطا وسنة عفصا لسان العرب – مادة / عفص

بمرارة السلحفاة حتى تقرأ بالليل فقط [١].

والمتلقى الكريم للفقرة السابقة يتبين مهارة العرب وإبداعهم فى فن الكتابة التى تدل على رقى تقدمهم الحضارى الذى شهد لهم بالتميز الفكرى والقدرة على الإبتكار وهذا يذكرنا بأدق ما توصل إليه العلم الحديث فى جهاز أمن الدولة فى عصرنا .

---

(١) ذكر القلتشندى فى صبح الأعش مايلى :
إنه يكتب فى الورق بلبن الحليب قد خلط به نوشادر فإنه لا توى فيه صورة الكتابة فإذا قرب من النار ظهرت الكتابة .
ومنها إن يكتب فى الورق أيضاً بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة قرب من النار ظهرت الكتابة .
ومنها أن يكتب فيما أراد من ورق أو غيره بماء قد خلط فيه زاج فلا تظهر الكتابة فإدا مسح بماء قد خلط فيه العصفى المدقوق ظهرت الكتابة .
ومنها أن يكتب فى الورق غير المنشى بالشب المحلول جف ظهرت فيه الكتابة .
ومنها أن يكتب بمرارة السلحفاة فرن الكتابة بها ترى فى الليل ولا ترى فى النهار .
ومنها أن تأخذ الليمون الأسود وعروق الحنطل المغلوة بزيت الزيتون جرأين متساويين وتسحقهما ناعماً ثم تضيف إليهما دهن صفار البيض وتكتب به على جسد من شئت فإنه ينبت الشعر مكان الكتابة وهو من الأسرار العجيبة فإذا أريد إرسال شخص بكتابه إلى مكان بعيد فعل ذلك فإنه إذا نبت الشعر قرئت الكتابة .
راجع صبح الأعش – القلشقندى جـ ٩ صـ ٢٢٩

الإهتمام بوزن الألفاظ

صرح ابن المدبر لكاتب الرسالة أهميـة العناية بتكوين الكلمة ويكمن ذلك في حروفها ووزنها الصرفي ومخرجها الصوتي فقال :

(وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت والكلمة بعبارة إذا سنحت ، فربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام إذا حسب أنا فاعل أحسن من أنا أفعل ، وإستفعلت أحلى من فعلت وأدر الألفاظ في أماكنها ، وأعرضها على معانيها ، وقلبها على جميع وجوهها ، حتى تقع موقعها ، ولا تجعلها قلقة نافرة فمتى صارت كذلك هجنت الموضع الذي أردت تحسينه وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه وأعلم أن الألفاظ في غير أماكنها والقصد بها إلى غير مظانها كترقيع الثوب الذي لم تتشابه رقاعه ولم تتقارب أجزاؤه ، خرج عن حد الجدة وتغير حسنه] [١]

يجد المتلقي للفقرة السابقة لمحات نقدية جيدة توحي بما لابن المدبر من ذوق نقدي رفيع وحاسة لغوية مرهفة فقد حث كاتب الرسالة على تخير الألفاظ بذوق لغوي يزن اللفظة ليدرك درجة تعبيرها عن المعنى بدقة وجلاء وصدق وهذا يتطلب من الكاتب أن يكون على معرفة تامة بعلوم اللغة من صرف ونحو وأصوات إلى جانب قدرته على اختيار الأداء التعبيري الذي

---

(١) الرسالة العذراء ص ٢٩ ، ٣٠

يبلور المعانى وينقلها للمتلقى عبر ايحاء سحرى يشكل الألوان والهيئات ويبرز الأصوات من خلال تناسق حى مترابط الأجزاء تتآلف حروفه وألفاظه وأصواته وقد بين ابن المدبر أن الألفاظ إذا وقعت فى غير موقعها أصبحت الصياغة كالثوب المرقع الذى ينفر الناظرين .

– ٢١ –

أوقات الكتابة

يحث ابن المدبر كاتب الرسالة على تخير وقت تسجيل رسالته لما فى ذلك من بواعث الجودة والإبداع الفنى ذكر فى ذلك ما يلى :

(وارتصد لكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف : لأن سماحة النفس بمكنونها ، وجود الأذهان بمخزونها ، إنما هو مع الشهوة المفرطة فى الشئ ، والمحبة الغالية فيه ، أو الغضب الباعث منه ذلك قيل لبعضهم لم لا تقول الشعر ؟ قال : كيف أقوله وأنا لا أغضب ولا أطرب .

وهذا كله إن جريت من البلاغة على عرق ، وظهرت منها على خط ، فإما إن كانت غير مناسبة لطبعك ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تقض مطيتك فى التماسها ، ولا تتعب بدنك فى ابتغائها ، واصرف عنانك عنها ، ولا تطمع فيها باستعارتك ألفاظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك – ومن كان مرجعه فيها إلى اعتصاب ألفاظ من تقدم ، والإستضاءة بكوكب

من سبقه ، وسحب ذيل حلة غيره ، ولم يكن معه أداة تولد له من بنات قلبه ونتائج ذهنه ، الكلام الحر والمعنى الجزل ، فلم يكن من الصناعة فى عير ولا نفير)[1]

يبين ابن المدبر لكاتب الرسالة الأوقات التى تحسن فيها الكتابة منها صفاء القلب من المشاغل ونشاط الذهن والإستعداد الوجدانى والعقلى إلى جانب عنفوان الرغبة فى تسجيل الخواطر والأفكار والقضايا حتى يتصف عمله بالصدق الفنى والجودة التعبيرية .

كما ذكر ابن المدبر أن جودة العمل تنبع من عوامل نفسية ترتبط بأحوال النفس والقلب مثل الرغبة المفرطة فى الشئ أو المحبة الغالية فيه أو الغضب الباعث منه .

وقد استدل على رؤيته بما ورد عن أوقات نظم الشعر التى تدل على تميز العرب فى هذا الفن الذى يعتمد على الذوق الرفيع فقد ذاع عن العرب قولهم :

أشعر الناس أمرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب [2]

---

(١) الرسالة العذراء ٣

(٢) النقد العربى القديم – أ. د طه مصطفى أبو كريشة – طبعة ١٩٩١م صـ ١٢ بتصرف

وقد ذكر ابن المدبرهذه المقولة (كيف أقوله وأنا لا أغضب ولا أطرب) فى مجال كتابة الرسائل الأدبية ليبين أن الكتابة الأدبية تنبع من معين واحد .

وقد أحسن ابن المدبر حين رسم لكتاب الرسائل المنهج الوجدانى والموضعى لتسجيل آثارهم فقد حثهم على معرفة أسرار البلاغة لتخير الألفاظ والعبارات والإطلاع على آثار السلف .

ثم يضيف إليها ثمار فكره حتى يتسم عمله بالجمع بين الأصالة والتجديد . فالأدب صناعة فياضة العطاء غزيرة الكنوز .

– ٢٢ –

طبيعة الكاتب

حث إبراهيم بن المدبر كتاب الرسائل على الارتشاف من رسائل المتقدمين مبينا أن فيها أسرار العلم والمعرفة فتحدث قائلاً :

(على أن كلام العظماء المطبوعين ودرس رسائل المتقدمين على كل حال ، مما يفتق اللسان ، ويوسع المنطق ، ويشحذ الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجيه .

قال العتابى : ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم ، وجرينا فيه من صنوف الآداب شيئا أصعب مراما ، ولا أوعر مسلكا ، ولا أدل على نقص الرجال ورجاحتهم وأصالة الرأى وحسن التمييز منه واختياره ، من الصناعة

التى خطتها ، والمعنى الذى طلبته . وليس شئ أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها ، لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها فى الفصاحة والحسن ، ولا تحسن فى مكان غيرها – ويتميز هذه المعانى ، ومناسبة طبائع جهابذتها ، مشاكلة أرواحهم ، جعلوا الكتابة نسبا وقرابة ، وأوجبوا على أهلها حفظها .

سهل بن وهب : الكتابة نفس واحدة تجزأت فى أبدان مفترقة ، ومن لم يعرف فضلها ، وجهل أهلها وتعدى بهم رتبتهم التى وضعهم الله بهما ، فإنه ليس من الإنسانية فى شئ .

قالت البرامكة : رسائل المرء فى كتبه دليل على عقله وشاهد على غيبه .

ابن المقفع : كلام الرجل وافد عقله) (١)

بينت الفقرة السابقة أن الاطلاع على كلام العظماء من المطبوعين يثرى الفكر ويثير الوجدان وينمى الذوق ويرتقى بالطبع ويهذب اللسان ويفتقه وقد بين ابن المدبر أن هذه السمات لا تتحقق إلا إذا كان الكاتب يتمتع بإستعداد طيب وموهبة ملهمة مما يدل على إيمان ابن المدبر بالموهبة التى تعد منبع الاستقبال الجيد للآثار الأدبية وقد حدد ابن المدبر ما يجب على المنشئ الحديث تذوقه حين ذكر (العظماء المطبوعين) فبين أن جودة الصنعة مع

---

(١) الرسالة العذراء ص ٣١ : ٣٧

الطبع هما أساس التميز الأدبى الذى يجعل المنشئ من العظماء ويستدل ابن المدبر على صحة رؤيته النقدية بكلمات العتابى [1] الذى أعلن فيها أن صناعة الأدب تحتاج إلى مهارة فنية قادرة على اختيار الألفاظ التى تعبر عن المعانى بدقة ووضوح حتى تتصف الصورة التعبيرية بالفصاحة والحسن والطبع .

ويذكر ابن المدبرأن الكاتب المطبوع المرهف هو الذى يستطيع تفضيل الكلمة على أختها رغم مشاركتها لها فى الحسن إلا إنه ينتقى ما يصور بجلاء مراده وما يجول بخاطره فالكتابة فن يعكس الخلق والإبداع .

وقد أحسن ابن المدبر فى ابراز ما لكتابة الأدب من شرف وعظم منزلة حين استدل بقول سهل بن وهب [2] الذى أعلن أن فن الكتابة يشبه النفس الواحدة المتكاملة التى تنفث الروح فى أبدان متفرقة لكل بدن سمة إبداعية تشكل البناء الأول الجيد ويعلن ابن المدبر أن أهل الكتابة هم رواد البناء

---

(١) كلثوم بن عمرو العتابى الشاعر المشهور كان شاعراً خطيبا بليغا مجيدا بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء وله رسائل مستحسنة كان العتابى منقطعا إلى البرامكة ومنصور النمرى روايته صنف كتباً منها (فنون الحكم) ، (الأداب والأجواد) وفيات الأعـــيان – ابن خلكسان – تحقيق د.إحسـان عبـاس – جـ٤ ص ١٢٢ : ١٢٤ طبعة بيروت، الإعلام – الزركلى – جـ٥ – ٢٣١ بيروت

(٢)أبو محمد الفارسى الأصل دخل البصرة واتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة وكان أديبا وشاعرا شعوبيا يتعصب للعجم على العرب له رسالة فى مدح البخل أوردها الجاحظ فى كتابه البخلاء له تصانيف منها (كتاب النمر والثعلب) ، (كتاب الغزالين)
توفى سهل بن هارون بن راهبون ٢١٥ هـ
معجم الأدباء جـ١١ – الطبعة الأخيرة ص٢٢٦

الإنسانى الشريف لما لهم من صفاء فكرى وقدرة على رسم خطوط الماضى والحاضر والمستقبل .

كما استدل ابن المدبر على جلال الكتابة بقول ابن المقفع (كلام الرجل وافد عقله) مما يشير إلى ضرورة تمتع الكاتب بالوعى والبصيرة وحسن التصوير .

– ٢٣ –

أراء مختلفة فى الكتابة

أشار ابن المدبر فى هذا الحديث إلى طبيعة علاقة الألفاظ بالمعانى وأثر الصياغة الجيدة على الصورة الأدبية قائلاً :

(وشبهت الحكماء المعانى بالغوانى ، والألفاظ بالمعارض فإذا كسا الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظا رائقا ، وأعاره مخرجا سهلا ، كان للقلب أحلى ، وللصدر أملا ، ولكنه بقى عليه أن ينظمه فى سلكه مع شقائقه كاللؤلؤ المنثور الذى يتولى نظمة الحاذق ، والجوهرى العالم يظهر بإحكام الصنعة له حسنا هو فيه ، ويمنحه بهجة هى له ، كما أن الجاهل إذا وضع بين الجوهرتين خرزة هجن نظمه وأطفأ نوره .)

يبرز الكاتب فى الفقرة السابقة أهمية الألفاظ والمعانى فى تكوين الصياغة الجيدة وقد عالج هذه القضية فيما سبق حيث ذكر أهمية تخير الألفاظ للمعانى بدقة .

والمتلقى الكريم لكلمات الفقرة يدرك أن ابن المدبر أضاف إلى تخير الألفاظ للمعانى أثر العبارة الجيدة على السامع والواقع أن دائرة السحر الأدبى تكتمل بالمعانى الجيدة والألفاظ الرائعة والمخرج السهل والمتلقى المرهف والمتذوق الحفيص الذى شكلته روضة الجمال التعبيرى الذى جمع بين الدربة والممارسة فتكون لديه ذوق أدبى رفيع كما أضاف ابن المدبر فى الفقرة السابقة وجوب سلامة البناء الأدبى من الصدر حتى الخواتيم فهو كاللؤلؤ المنثور يجب وضع كل جوهرة منها فى مكانها بدقة العالم الخبير وحس المرهف البليغ حتى يشرق العمل بأنوار الإبداع الفنى .

— ٢٤ —

عرض الكتابة على العلماء

رسم ابن المدبر للكاتب أصول صناعة الكتابةالجيدة مبينا له ضرورة عرض نتاجه على العلماء والبلغاء والخطباء والشعراء فذكر الآتى :

(فإن منيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك بشعر معقود ، أودعتك نفسك إلى تأليف الكلام المنثور ، وتهيأ لك نظم هو عندك معتدل ، وكلام لديك متسق ، فلا تدعونك الثقة بنفسك ، والعجب بتأليفك أن تهجم به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر إلى تأليفك بعين الوالد لولده ، والعاشق إلى عشقه .

(١) الرسالة العذراء ص ٣٢

ولكن أعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجا بغيره ، فإن أصغوا إليه ، وأذنوا له ، وشخصوا بالأبصار واستعادوه وطلبوه منك وامتزج ، فاكشف من ذلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه وانسبه إلى نفسك وإن رأيت عنه الأسماع منصرفة ، والقلوب عنه لاهية ، فاستدل به على تخلفك عن الصناعة وبعاصرك عنها ، واسترب رأيك عند رأى غيرك من أهل الأدب والبلاغة : فقد بلغنى : إن بعض الملوك دعا إنسانا إلى مؤانسته حتى أرتفعت الحشمة بينهما فأخرج له كتابا قد غشاه بالجلود وجمع أطرافه بالابريسم وسوى ورقة وزخرف كتابته وجعل يقرأ عليه كلاما قد حبره فيه ونمقه عند نفسه ، وجعل يستحسن مالا يحسن ، ويقف على مالا يستثقل قراءته حتى أتى على الكاتب فقال له : كيف رأيت ما قرأت عليك ؟ فقال : أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه . ففطن له ولم يعاوده إلى أن وقف به على تنور مسجور ثم قذف بالكتاب فى النار . وهذا رجل فى عقله فضله وفيه تميز .

وإنما البلية فيمن إذا بنيت له سوء نظمه ، واختياره ، ووقفته على سخافة لفظه ، هجرك وعاداك [١].

عرض إبراهيم بن المدبر فى الفقرة السابقة المنهج الذى يجب أن يسلكه كاتب الرسالة حتى يتصف عمله بالجودة الفنية فصرح للشاعر والكاتب تجنب الغرور الذى يهدد سلامة النتاج وصحته ويقتلع المنشئ من روضة التميز

(١) الرسالة العذراء ص ٣٥

الأدبى ويرشده ابن المدبر إلى ضرورة عرض نتاجه على البلغاء والشعراء والخطباء وأهل الأدب والمعرفة فإن أصغوا إليه وعاشوا معه فى رحاب صوره أدرك شرف صناعته وإن انصرفوا تبين ما فى صناعته من اضطراب وقصور وتخلف فى صناعة الأدب وهنا يجب عليه مضاعفة الإقبال على التعلم والإرتشاف من عيون المعرفة ويقبل النصيحة ولا يهجر من يرشده .

– ٢٥ –

الإهتمام بأقدار المخاطبين

أمعن ابن المدبر فى بيان الإهتمام بأقدار المخاطبين فقال:

(فاجعل هذا الأصل ميزانا تزن به مذهبك فى رسائلك وبلاغتك ولا تخاطبن خاصا بكلام عام ، ولا عاما بكلام خاص . فمتى خاطبت أحدا بغير ما يشاكله فقد أجريت الكلام غير مجراه وكشفته ، وقصدك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيه لقدر كلامك ورفع لدرجته .

فلا تجن كلمة حتى تزنها بميزانها فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها .

وتجنب ما قدرت الألفاظ الوحشية وارتفع عن الألفاظ السخيفة واقتضب كلاما بين الكلامين .

الجاحظ : ما رأيت قوماً أمثل طريقة فى البلاغة من هؤلاءالكتاب فإنهم

التمسوا من الألفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا وقال خالد بن صفوان : أبلغ الكلام مالا يحتاج إلى كلام ،وأحسنه ما لم يكن بالبدوى المغرب ، ولا القروى المخدج الذى صحت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على ألسن القائلين ، وخف آذان السامعين ، ويزداد حسنا على مر السنين ، بتحلية الرواة ، وتنقية السراة .

والكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة من إذا حاول صنعة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابعها ، وظهرت من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب .

حدثنا صديق للعتابى قال له : إعمل لى رسالة ، واستمده مرة بعد أخرى ، فقال له : ما أرى بلاغتك إلا شاردة فقال له العتابى : لما تناولت القلم تداعت علىّ المعانى من كل جهة فأحببت أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه ، ثم أجتنى لك أحسنها ....) (١)

يستطرد ابن المدبر فى بيان الإهتمام بدرجة قدر المخاطب فيحث كاتب الرسالة على توضيح ملامح رؤيته فلا يحدث الخاص بكلام العام ولا العام بكلام الخاص فشرف الكلام يبرز من وضعه المناسب الذى يحقق الاستجابة السريعة فى نفس المتلقى كما يحث ابن المدبر الكاتب على دقة اختيار الألفاظ ومعرفة مواردها ومصادرها وتجنب الوحشى والسخيف منها .

(١) الرسالة العذراء ص ٣٥ ، ٣٦

ويستدل ابن المدبر على وجوب تجنب الوحشى بكلام الجاحظ شيخ البلاغة العربية ويشير إلى أن قيمة الكلام المنثور تنبع من تمامه ودقته وسلامة حروفه وصحتها وحسن معانيه وبعده عن الغرابة والنقصان .

كما بين ابن المدبر أن شرف الكلام يستمد من سهولته على ألسن القائلين وتجاوبهم مع معانيه على مر السنين وهو ما نعرفه بالخلود الأدبى الذى ينبع من قوة الأثر وصدقه ويشير ابن المدبر إلى صفات الكاتب البليغ التى تتبلور فى سيولة قلمه وصفاء عباراته وسحر صوره وتنوع معانيه وحسنها وقد أعلن العتابى أن تمكن البليغ من صناعته تمده بالسيولة الفكرية مما يدفع إلى تعدد المعانى وتنوعها .

– ٢٦ –

قيمة الكلام

ترتبط قيمة الكلام ومنزلته بحاجة المكتوب إليه ولهذا يجب على الكاتب البليغ المرهف معرفة ظروف المكتوب إليه الفكرية والإجتماعية والوجدانية حتى يصيب الهدف وقد بين ابن المدبر هذا فقال (وكلما احلو لى الكلام وعذب ورق وسهلت مخارجه

كان أسهل ولوجا فى الإسماع ، وأشد اتصالا بالقلوب ، وأخف على الأفواه ، ولا سيما إذا كان المعنى البديع مترجما بلفظ مونق شريف ، ومعبرا بكلام

مؤلف رشيق ، لم يشته التكلف بميسمه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه ......
والكتاب إذا لم يكن شبيهاً بحاجة صاحبه كان أحد الأسباب المانعة [1]

تتناول الكلمات السابقة الإفصاح عن أسباب عذوبة الكلام التى تثير بدورها استجابة المكتوب إليه فقد ذكر ابن المدبر فى رسالته أن إستجابة المتلقى تحدث من عناصر عدة أهمها رقة المخارج وسهولتها وسلاسة الألفاظ وجمال المعانى وحسن التنسيق وسحر العرض ورشاقة الإيقاع مع الإهتمام الواعى البصير بالتكوين الفكرى والإجتماعى والنفسى للمكتوب إليه حتى يكون للرسالة الأثر الإيجابى الذى يدل على أن الأدب ترجمة حية لحياة الأفراد .

- ٢٧ -

تدبر معانى الكلام قبل الإنشاء

يجد المتلقى فى الفقرة الآتية شدة اهتمام ابن المدبر ببلاغة الكلام وسحر تأليفه فى رؤيته الآتية :

(والمعانى كلها ممتثلة والكلام مشبعا ولكن سياسته صعبة وتأليفه شديد إلا على جهابذته وفرسانه أمراء الكلام يصرفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، يكون اللفظ أسبق إلى الإسماع من معناه إلى القلوب

---

(١) الرسالة العذراء ص ٣٧ : ٣٩ بتصرف

الجاحظ : كان لفظه فى وزن إشارته ، وطبعه فى معناه فى مطابقة معناه .

والمعانى وإن كانت كامنه فى الصدور فإنها مصورة فيها ، ومتصلة بها ، وهى كاللآلئ المنظومة فى أصدافها والنار المخبوءة فى أحجارها ، فإن أظهرته من أكنانه وأصدافه تبين حسنه ، وإن قدحت بالنار من مكانها وأحجارها انتفعت بها ، وإلا بقيت محجوبة مستورة ، إنما يستثار الكامن منها ، ويستخرج المستسر من جواهرها ، بقدر حذق المستنبط ، وصواب حركات المستخرج وقصد إشارته ، ولطف مذاهبه . وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ولا يصيب إشارته وكلما كان الكلام أفصح ، والبيان أوضح، كان أدل على حسن وجه المعنى وقد شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر – وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقا) (١)

ذكر ابن المدبر أن تأليف المعانى وتنسيقها مع ألفاظها يحتاج إلى مهارة إبداعية وقدرة فنية ومعرفة واعية بأسرار اللغة وقد صرح أن جهابذة اللغة وأمراء البيان هم الذين يتمتعون بهذه المقدرة التعبيرية التى تجعل بناء الكلام يستحق اسم البلاغة والكلام البليغ يتجلى فى انسجام الألفاظ مع المعانى وعمق دلالة الصياغة على المضمون فالمتذوق يستقبل الألفاظ فتتجسد المعانى لفكرة ويشعر بالمعانى فيجد ألفاظها ناطقة بها معبرة عنها وهذا التناسق بين

---

(١) الرسالة العذراء ص ٣٩

الألفاظ والمعانى يحرك سمع المتلقى وقلبه وخياله لما فيه من بلاغة .

ويمعن ابن المدبر فى بيان بلاغة الكلام فيستدل برأى الجاحظ فى الإهتمام بوزن اللفظ والواقع أن الوزن يوحى بايقاع الدلالات المعنوية وكلما تمكن العالم من علم الكلام أدرك الفوارق اللفظية والمعنوية للدلالات المختلفة وما سبق يدل على أن البناء التعبيرى الجيد يرتبط بوزن الكلمة لما فى صوتها من رنين يوحى بالأبعاد المعنوية كما يرتبط باللفظ الدقيق الذى يهدى المتلقى للمراد بجلاء فالتشكيل التعبيرى يتعاون ويتكامل وينسجم حتى يسبق لفظه معناه ومعناه لفظه ويوحى الوزن بدلالاتهما معا فيرسم الصورة فى خيال المتلقى ووجدانه واضحة الملامح صادقة الأحاسيس .

وينطلق ابن المدبر فى هذه القضية النقدية فيعلن أن المعانى كامنة فى صدر المنشئ وهى فى ذلك تشبه اللؤلؤ الكامن فى الأصداف لا يبرز جمالها إلا إذا نسقها مفتن بارع عالم بأسرار الجواهر وهكذا المعانى لا يشرق جمالها إلا من خلال الألفاظ الحية الدقيقة فالمعنى يمثل الروح الخفى واللفظ الجثمان الظاهر لا غنى لأحدهما عن الآخر ويختم ابن المدبر فكرته السابقة ببيان يعلن فيه أن المعنى الشريف الجزل يحتاج لصياغة لفظية شريفة لما فى ذلك من تمام البناء وصحة النظام التعبيرى .

الدال على المعانى

تحدث ابن المدبر عن ينابيع المعانى فقال :

(والدال على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة وعقد وخط .

وذكر ارسطاطاليس خامسا وهى التى تسمى النصبة وهى الحالة الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة الناطقة بغير لفظ والمشيرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهر فى خلق السماوات والأرض وفى كل صامت وناطق وهى فى جملة هذه المعانى الأربعة وخارجة منها بالحلية .

ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبتها وحلية غير مشاكلة لحلية أختها، غير أنها فى الجملة كاشفة عن أعيان المعانى ، وأوضح هذه الدلائل صنفان وهما اللسان والقلم ، وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان منه ، ويؤديان عنه مالا تؤدى هذه الأصناف الباقية .

وأما اللسان فهى الآلة التى يخرج الإنسان بها من حد الاستبهام إلى حد الإنسانية ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان الحى الناطق وقيل إنما يبين عن الإنسان اللسان وعن المودة العينان وقيل الله سبحانه رفع درجة اللسان فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده وما جعل الله من عبر عن شئ مثل من لم يعبر عنه وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه وقالوا : المرء بأصغريه قلبه

ولسانه) [1] .

كشف ابن المدبر فى حديثه السابق عن أهمية المعانى فتحدث عن ينابيعها الحية وأولها اللفظ الصريح الذى يترجم المعانى التى تجول فى الصدور وثانيهما الإشارة اللفظية الرمزية التى توحى بطبيعة المشاعر وتعبر عن معانى الوجدان والعاطفة وثالثهما نظم هذه المعانى فى عقد متناسق جيد العرض ورابعها تجسيد هذه المعانى من خلال خط مكتوب يحفظ هذه المعانى مسجلة على مر العصور .

وقد أحسن ابن المدبر حين بين أن لكل وظيفته التعبيرية وأجاد عندما بين أن اللسان والقلم يترجمان ترجمة صريحة عما فى القلب وأن اللسان حد الإنسان الناطق به يتمتع الإنسان بكرامة إنسانيته التى كرمه الله بها وشرفه بجلال توحيده سبحانه .

ومن الجدير بالذكر أن حديث ابن المدبر عن العناصر الدالة عن المعانى يدل على أنها أصل ثراء الفكر الإنسانى ولهذا فهى فى حاجة لترجمتها عن طريق التعبير اللفظى الصريح أو التعبير اللفظى الرمزى فى نظم جيدة يعقد بين الألفاظ صلةإنسانية حية يسجلها خط متمق يحافظ على استمرارها عبر رحلة الزمان .

(١) الرسالة العذراء ص ٤٠ ، ٤١ بتصرف

فضيلة الخط والقلم

أثار ابن المدبر فكرة حية تدل على أن خلود التراث يرجع إلى الخط الذى يسجل القضايا الفكرية ويحفظها على مر الزمان فقال :

(وللخط صورة معروفة وحلية موصوفة وفضيلة بارعة ليست لهذه الأوصاف ، لأنه ينوب عنها فى الإيضاح عند المشهد ، ويفصلها فى المغيب ولأن الكتب تقرأ فى الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتدرس فى كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان زلفا فصيحاً لا يعدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره وكفى بفضيلة القلم والخط قول الله عز وجل : (الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) كما أقسم بغيره ثم أقسم بما يكتبه القلم إفصاحا عن حالة ، وإعظاما لشأنه ، وتنبيها لذكره فقال : (ما يسطرون) .

ومن فضيلة الخط أنه لسان اليد ، ورسول الضمير ودليل الإرادة والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ووحى الفكر ، وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التنائى ، وأنـس الإخـــوان عند الفرقة ، ومستودع الأسرار ، وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر ، ومورث الآخر مكارم الأول ، والناقل إليه مآثر الماضى ، والمخلد له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين يسر القلب ، والمخاطب عن الناصت ، والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأبكم ، والمتكلم عن الأخرس ، الذى تشهد له آثاره

بفضائله ، وأخباره بمناقبه) [1]

تناول ابن المدبر فى حديثه السابق فضيلة الخط وأثره على خلود التراث الفكرى فبين أن الخط عبارة عن صورة حية معروفة عند البشر له فضيلة بارعة حيث يترجم الخواطر ويسجل نطق اللسان .

ويذكر ابن المدبر أن الخط سبيله القلم فهو الأداة الحسية التى تسطر الخط ولهذا أقسم الحق جل علاه بالقلم وبما يخطه القلم فقال تبارك اسمه وتعالى ذكره (والقلم وما يسطرون)[2]

كما فصل بذكاء فضيلة الخط فذكر أنه لسان اليد والوسيلة المعبرة عن المشاعر الوجدانية ، وآية الفكر وأداة المعرفة والعلم وسبيل المناجاة بين الأصدقاء ومخلد المكارم والحكم وقد أجاد عندما بين أن الخط هو المفصح عن الأبكم والمتكلم عن الأخرس والمجادل عن الساكت .

والفكرة التى يناقشها ابن المدبر جيدة العرض واضحة الملامح صادقة المضمون واقعية الأوصاف مما يمنحها شرف التأثير على المتلقى .

---

(١) الرسالة العذراء – ص ٤١ ، ٤٢
(٢) سورة القلم آية ١

فضل البلاغة

تعد البلاغة أصل الفصاحة التعبيرية والمهارة الفنية ولهذا بين ابن المدبر أثرها في روعة الأداء وعمق التأثير فذكر الآتى :

(وقد وقعت البلاغة من العلم علو القدر وباذخ العز ..... ورفع القلم خاشع الطرف صغير الخطر ، لئيم الجنس ، درج من عش التجار ، ونشأ بين المكيال والميزان ، كيف أشالت البلاغة بضبعيه ، ورفعت من ناظريه ، حتى شافهت به عنان السماء ، ورفعت بناءه فوق البناء ، حتى طلبه الراكب ، وقصده الطالب ، وخشعت له الرجال ، ولحظته العيون بالوقار ، وتمكن من الصنائع ، ومدت نحوه الأصابع فشكرت منه اللفظة ، ورجيت منه اللحظة كمحمد بن عبد الملك بن الزيات [1] .

وكان محمد من ألطف الناس ذهنا ، وأرقهم طبعا ، وأصدقهم حسا ، وأرشقهم قلما ، وأملحهم إشارة ، إذا قال أصاب وإذا كتب أبلغ ، وإذا شعر أحسن ، وإذا اختصر أغنى عن الإطالة : أمره الخليفة الواثق أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ، ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم ، وفوض ذلك لابن

---

(١) ابو جعفر محمد بن عبد الملك بن ابان بن حمزه المعروف بابن الزيات وزير المعتصم كان جده ابان رجلا من أهل جبل من قرية كان بها يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد فسمت بمحمد المذكور وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر بليغا عالما بالنحو واللغة توفى ٢٣٣هـ . وفيات الأعيان – ابن خلكسان تحقيق د. احسان عباس جـ ٥ ص ٩٤ ط . بيروت

عمه اسحاق ابن ابراهيم ، فكتب : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما فى يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله فى شمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ....)[1] تحدث ابن المدبر فى عباراته السابقة عن شرف البلاغة ومنزلتها وكاتبنا لا يرمى بكلماته إلى علم البلاغة وفروعه فحسب ولكنه يرمى إلى ما يتسم به الكلام من جودة فنية وإصابة تعبيرية وذكاء فى الأداء وقدرة على توظيف الألفاظ لخدمة المعانى حتى تخرج الصورة متكاملة البناء حية المعالم ناطقة بالعواطف والأحاسيس مجسدة للهيئات والأشكال تتحدث بوضوح عن زمانها ومكانها وتفصح عن أسرارها بصدق وآصالة تدفع إلى الخلود الذى يحفظ تراث الأمة ولهذا ذكر ابن المدبر أثر النظم الجيد على صاحبه حيث يرفع منزلته ويرقى بوضعه فيطير ذكره فى الأفاق ويصبح مقصد الطالب ورجاء المتعلم ومثلاً يضرب فى فصاحة الكلمة ورقة الطبع وإصابة الهدف مثل محمد بن عبد الملك بن الزيات الذى عرف بحسن التعبير وجمال العرض وقوة الأداء ووضوح الدلالات ولعل مقولته لعبد الله بن طاهر

(أما بعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما فى يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله فى شمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) تكشف عن مراد ابن المدبرمن معنى البلاغة فقد عبر الزيات عن المعنى بإيجاز دون تقصير ومنح عبارته طلاقة تعبيرية توحى بالهدف الإجتماعى وتجسد الحالة الوجدانية للمتلقى بدقة وجلاء .

---

(١) الرسالة العذراء صـ ٤٢ : ٤٤ بتصرف

- ٣١ -

ماهية البلاغة

ختم ابراهيم بن المدبر رسالته العذراء بحديث جيد ناقش فيه الآراء المختلفة حول معنى البلاغة بذكاء المفتن وحس الأديب فقال :

(ولم يختلف فى شرف القلم وإنما اختلف فى كيفية البلاغة وماهيتها . وقد مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم وأحسن بيانهم فقال صاحب اليونانيين : البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

الرومى : البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة .

الفارسى : هى معرفة الفصل من الوصل .

الهندى : هى البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ، ثم أن يدع الإفصاح بها إلى الكتابة عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقا ، وربما الإطراق عنها أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر .

غيره : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الحذق بما التبس من المعانى وغمض ، وبما شرد عليك من اللفظ وتعذر ثم قال : وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته أن تكون الشمائل معتدلة والألفاظ موزونة ، واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام .

وقيل لهندى : ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها : أول البلاغة احتمال آلة البلاغة ، وذلك أن يكون البليغ رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون فى قواه فضل التصرف فى كل طبقة ، ولا يدقق المعانى كل التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ، ويصفيها كل التصفية ، ويهذبها غاية التهذيب ، ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفا حليما عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ .

ارسطاطاليس : البلاغة حسن الإستعارة .

وقيل : البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل عن الكثير ، **وقيل** : ليس البلاغة بخفة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى والقرع بالحجة ، **وقيل** : البليغ من إذا وجد كثيرا ملأه وإذا وجد قليلا كفاه وقيل البلاغة دنو المأخذ وقرع الحجة والإستغناء بالقليل عن الكثير .

وذكر يكفى من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع .

الخليل بن أحمد [1] : كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فإن

---

(١) الخليل بن أحمد بن عمر (١٠٠ – ١٧٠٠ هـ) من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض وهو أستاذ سيبويه النحوى أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها فمن ذلك تأليفه كلام القرب على الحروف فى الكتاب المسمى بكتاب) الحين) .

استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولتلك الحال وفقا ، وأخر كلامك لأوله مشابها ، وموارده لمصادره موازنا فافعل ، واحرص أن تكون لكلامك متهما وإن ظرف ، ولنظامك مستريبا وإن لطف ، بمواتاه آلتك ، وتصرف إرادتك معك ، فافعل ان شاء الله (١)

وفى ثمرة مطاف الرسالة العذراء يقطف المتلقى حديثا عذبا عن مفهوم البلاغة جمع فيه صحبة طيبة من الأراء التى ذكرت أبعادها من وحى علومها ومعارفها .

الرأى الأول : ذكر فيه أن للقلم شرفا اتفقت عليه جميع الثقافات والحضارات أما البلاغة فقد اختلف فى ماهيتها فذكر أنها تصحيح الأقسام واختيار الكلام والمراد صحة العبارات وسلامتها ووضوحها للمتلقى ودقة اختيار الألفاظ المعبرة عن المعانى مع حسن العرض الذى ينبع من تمام معنى العبارة فلكل عبارة فكرة مستقلة تنتهى بنهايتها لتشرق بعدها عبارة جديدة تحمل أبعادا ودلالات تستقل عن سابقتها فى تناسق فنى تعبيرى يشعر المتلقى بوحدة الموضوع مع تمتع كل عبارة بفكرة تامة الأبعاد واضحة الملامح .

الرأى الثانى : يبين أن البلاغة ترمى إلى وضوح الدلالات الإجتماعية والثقافية والوجدانية الذى يحقق حسن العبارة ودقة الإصابة .

الرأى الثالث : يشير إلى أن البلاغة هى معرفة أصول النظم الجيد التى

(١) الرسالة العذراء ص ٤٤ :٤٨ بتصرف

يدرك فيها المنشئ متى يحسن الإطناب ويعذب الوصل ومتى يفضل الإيجاز ويطيب الفصل .

الرأى الرابع : يعلن أن البلاغة هى البصر الواعى بمواطن الإفصاح والإحساس المرهف بمواضع التلميح والمعرفة الذكية بسبل الصمت أو التصريح لتحقيق الغاية .

الرأى الخامس : ترمى البلاغة إلى حسن التعبير ومعرفة ساعات القول حتى يكون للكلام أثره الإيجابى وتجنب الحوشى وجمال التنسيق وسحر الألفاظ وانسجام الحروف وسلامتها من النفور حتى تتحقق للعبارات العذوبة والسلاسة والوضوح .

الرأى السادس : أضاف هذا الرأى الذى صرح به هتدى إلى المعانى المعهودة ما يلى :

* أن يكون البليغ رابط الجأش .
* أن يكون ساكن الجوارح .
* أن يكون قليل اللحظ .
* أن يتخير الألفاظ فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة .
* لا يدقق المعانى كل التدقيق .
* لا ينقح الألفاظ كل التقنيح .

* يصفى الألفاظ كل التصفية .

والرأى السابق يركز الضوء على صفات البليغ وما يجب أن يتزين به من صفات وجدانية وشكلية تجعل لكلماته جمالا ينبع من حسن هيئته وسحراً يتولد من أبهة منظره ويحذر هذا الرأى من التكلف والمبالغة فى تنقيح العبارات والأساليب حتى لا يتصف النظم بالجمود ويفقد روح البساطة وملامح الطبع .

والرأى السابق دعوة واضحة لقوة شخصية المنشئ وقوة نظمه فهما معا النبع الحى للبلاغة حيث يمثل البليغ جسدها و النظم روحها .

الرأى السابع : حدود البلاغة بأنها ترمى إلى حسن الإستعارة وإصابة التشبيه وهو رأى قاصر يجعل مفهوم البلاغة يرتبط بحدود المعنى الإصطلاحى .

الرأى الثامن : يصرح بأن البلاغة ترمى إلى تقريب المعانى وتوضيحها وتجنب السوقى الحوشى وإصابة المعنى بإيجاز يحقق المتعة والمنفعة .

الرأى التاسع : يبين أن البلاغة تنبع من إصابة المعنى ودقة البرهان ووضوح معالمه .

الرأى العاشر : تتحقق البلاغة فى قرب المعانى وإصابة الهدف والإيجاز مع تمام المعنى ووضوحه .

الرأى الحادى عشر : تعنى البلاغة وضوح الرؤية فى ذهن المتلقى بنفس درجة وضوحها فى نفس المنشئ وعدم حدوث سوء فى فهم ملامح الصورة ويختم ابن المدبر حديثه عن مفهوم البلاغة وماهيتها برأى الخليل بن أحمد الذى وضح مفهوم البلاغة بكلمات جامعة جمعت بين طياتها الآراء السابقة بذكاء المفتن فذكر أن البلاغة هى القدرة التامة على توظيف الألفاظ لخدمة المعانى ووضوح الدلالات اللفظية ومطابقتها بدقة مطلقة للأحوال التى تصورها كما أعلن الخليل بن أحمد ضرورة التناسق بين الكلمات والإنسجام بين العبارات عبر ترابط فنى تهدى الكلمة الأولى إلى الثانية وتوحى الأخيرة بمراد الأولى مما يدل على تكامل النسيج التعبيرى كما بين الخليل وجوب معرفة أصول الكلمة ومواردها ووزنها واختيار ما يناسب أحوال النظم لإشباع حاجة المنشئ والمتلقى .

وبعد هذه الجولة بين رحاب موضوعات الرسالة العذراء ينتقل ركب البحث إلى القسم الثانى من المبحث الثانى ليكشف النقاب – بإذن الله عن قيمة الرسالة العذراء فى ميدان الإنشاء الأدبى ومنزلة ابن المدبر فى الميزان .

القسم الثانى

ابن المدبر فى ميزان الإنشاء الأدبى

أولاً : بين الجاحظ ، وابن قتيبة

ثانياً : أثره الأدبى والنقدى فى :

١ - الصولى .

٢ - ابن الأثير .

٣ - القلقشندى .

ابن المدبر فى ميزان
الإنشاء الأدبى

الأدب روح الأمة وحضارتها وآية نهضتها : يعبر عن فكرها ويصور مشاعرها ويجسد قبولها ويترجم رفضها بحيوية وصدق ولهذا فالأدب هو الكائن الحى الذى يتسم بالخلود حيث تمضى الأيام وتنقضى الأجيال وتمر العصور ويبقى الأدب ينبض بالحياة التى تحتضن أعماق الماضى وتضم آثار الحاضر وتوحى بثمار المستقبل يدخل المتلقى رحابه فيجد فيه ملامح الزمان ناطقة وبصمات المكان معبرة وصفات الشخوص ماثلة ومشاعرهم نابضة ومرجع حيوية الأدب عناصره الإنشائية التى ترمى إلى قواعد بناء الآثار الأدبية المتمثلة فى الشكل والمضمون أى التشكيل التعبيرى وماله من دلالات مختلفة تدفع إلى خلوده واستمراره والباحث الكريم عندما يتفحص الرسالة العذراء لابن المدبر المتوفى ٢٧٩هـ يدرك وضعها الإيجابى فى مجال الإنشاء الأدبى الذى يسجل عبر مضمونه الظروف الإجتماعية والثقافية والوجدانية والإنشاء الأدبى يرمى إلى الإعداد والبناء والأدوات التى يتم توظيفها لتجهيز الآثار الأدبية وخروجها لوجود ينطق بملامح عصرها ومن الجدير بالذكر أن الأعمال الأدبية تتكون من الألوان الشعرية والنثرية المختلفة ومع أن لكل رائحته التى تميزه وتهدى إليه إلا أنها تدل على عصرها فتعبر عن زمانها ومكانها وشخوصها وبهذا فالرسالة العذراء من الأعمال الأدبية والنثرية

الإنشائية الجيدة التى تمثل نهضة عصرها فتترجم أدوات الكاتب وسبل توظيفها لإعداد آثاره الجيدة الخالدة وقد ضمت الرسالة العذراء بين طياتها موضوعات أدبية نقدية فقد تحدث ابن المدبر عن ضمير الكاتب وحرصه على الحكمة، وثقافته وما يجب عليه تحصيله ، وتضمين أفكاره الشعر والأمثال ، وصفات الكاتب الشكلية والوجدانية ، وأزياء الكتاب ، وطبقات الكلام ، وأقدار المخاطبين ، وتخير الألفاظ والتعابير كما تحدث عن صدور كتب السلف ، وجواز محاكاة القرآن الكريم وخواتيم الرسائل ، وإصلاح الدواة والأقلام والقراطيس ، والخط والنقط والشكل ، وفضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، واتراب الكتاب والإهتمام بتسجيل التاريخ ، وإسحاء الكتب وختمها ، وإلصاق القراطيس ، وقراءة الكتب المختومة ، وكيفية تضمين الرسائل الأسرار ، وأوقات الكتاب ، وطبيعة الكاتب ، وعود إلى تخير المعانى والألفاظ وعرض لأراء مختلفة فى قيمة الكلام ، وتدبر معانى الكلام قبل الإنشاء ، وأسباب بقاء الكتابة مع مرور الزمان ، وفضيلة الخط والقلم – ثم ختم رسالته بحديث جيد عن ماهية البلاغة وأبعادها وآثارها على الجودة الفنية .

والمتلقى الكريم يجد من العرض السابق أن موضوعات الرسالة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : عناصر جودة الأثر الأدبى النابعة من إنشاء وإعداد الشكل الجيد الذى يعبر عن المضمون .

القسم الثانى : أدوات الأديب الكتابية وكيفية تجهيزها وإعدادها وما يجب أن يتسم به من أخلاقيات رفيعة تضاعف من جمال العمل وسحره .

والمتلقى للقسمين من خلال الرسالة العذراء يجد أن كاتب الرسالة يتنقل من حديث ينتمى للقسم الأول إلى حديث يشير إلى عنصر من عناصر القسم الثانى ثم يعود إلى القسم الأول وعلى سبيل المثال يتناول ابن المدبر الحديث عن أزياء الكتاب ثم يعقب بطبقات الكلام ، وأقدار المخاطبين ، وتخير الألفاظ والتعابير ثم يتحدث عن إصلاح الدواة ، والأقلام والقراطيس والخط والنقط والشكل ثم يعود للحديث عن المعانى والألفاظ والرقة والجزالة .... إلخ

ولكن منهج البحث يقتضى ضم عناصر كل قسم حتى يسهل إبراز ملامح الأصالة والتجديد والقيمة الأدبية والنقدية والإنشائية للرسالة ومنزلة ابن المدبر.

القسم الأول :

عناصر جودة الأثر الأدبى

يمثل هذا القسم الموضوعات الآتية : ضمير الكاتب وحرصه على الحكمة ، ثقافته وما يجب عليه تحصيله ، تضمين الشعر والأمثال ، طبقات الكلام ، أقدار المخاطبين وتخير الألفاظ والتعابير ، تدبر معانى الكلام قبل الإنشاء ، والرقة والجزالة ، دلالة المعانى ، ماهية البلاغة وفضلها .

وتضم الموضوعات السابقة حديثا جيدا عن عناصر جودة الأثر الأدبى

وتكشف عن أصالة إبن المدبر وتميزه فقد حث الكتاب على التعلم والتكلف فى طلب العلم وطول الاختلاف إلى العلماء وطلب أدوات الفصاحة بالإطلاع على رسائل المتأخرين حتى يعذب لسانهم كما حثهم على الإهتمام بالأشعار والأخبار والسير والأسمار والنظر فى كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم إلى جانب الإهتمام بالنحو والتصريف والعروض والتكلف فى طلب هذه العلوم .

وذكر ابن المدبر للكاتب ضرورة الإهتمام بقدر من يخاطبه واختيار العبارات المناسبة لكل طبقة وجعل طبقة الخلفاء من أشرف الطبقات لأن الله سبحانه أعلى من شأنها .

كما تحدث ابن المدبر عن المعانى الجزلة ووجوب اختيار الألفاظ التى تناسبها حتى تتسم صياغته بالرونق والحسن .

وذكر لكتاب الرسائل فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حتى تشرق رسائلهم بنور التميز الإسلامى الذى يدل على طبيعة الكاتب الإسلامى العربى .

كما حدث ابن المدبر الكتاب عن أصول افتتاح صدور كتبهم وفصولها وخاتمتها وتخير ما يناسب موضوعاتهم من المعانى والألفاظ فعبارات الشكوى تختلف عن عبارات المديح فلكل موضوع ما يشاكله من الألفاظ والمعانى كما

بين ضرورة ترابط الأفكار والمعانى فى عقد متناسق منسجم بحيث لا يجوز نقل لفظة من موضعها فالكاتب لا ينبغى أن يكون كاتبا حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدم آخره كما ينبغى أن يدل صدر الكتاب على مضمونه وتهدى كل لفظة لما بعدها وتأتى كل عبارة استجابة طبيعية لأختها ويعلن ابن المدبر أن الاستغناء عن لفظة من العبارة يدل على ضعف النظم وحوار كاتبنا عن الترابط والإنسجام والتناسق يذكرنا بالوحدة العضوية للعمل الفنى التى ذكر بعض النقاد تحققها فى الأدب الموضوعى .

وقد بين ابن المدبر أن من بلاغة الإنشاء الأدبى تكمن فى إدراك المنشئ درجة معرفة وثقافة ما يكتب له فما يكتبه للعربى لا يكتبه للأعجمى كما يجب عليه تجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس كما ذكر كاتب الرسالة العذراء للناثرين تجنب مواضع الإضطرار فى الشعر فلا يجوز لهم التقديم والتأخير والإضمار فى موضع الإظهار والتصغير فى موضع التعظيم وناقش أيضاً أسباب الإهتمام بوزن الكلمة فوضح أن العناية بوزن الكلمات يهدى إلى الجودة

---

(١) أثار النقاد فى العصر الحديث قضية الوحدة العضوية فى القصيدة فذكر العقاد أن القصيدة ينبغى أن تكون عملاً فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه ، والصورة بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا إختلف الوضع أو تغيرت الصورة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته .

= النقد العربى الحديث د.محمد خفاجى طبعة ١٩٧٥م ص ٨٩ - ، النقد والنقاد المعاصرون د. محمد مندور - نهضة مصر - صفحات متفرقة ، فى النقد النقد الأدبى د. شوقى ضيف - دار المعارف - ، صفحات متفرقة .

التعبيرية ومرجع ذلك أن الإحساس بالوزن ينبع من طبيعة الإحساس بالمعنى مما يدفع الكتاب إلى اختيار الكلمات التى تتمتع مخارجها بأصوات إيقاعية توحى بالدلالات المختلفة بشرط أن تتصف الصياغة بالإنسياب التعبيرى الذى يدل على سلامة التشكيل اللفظى وبلاغته وما سبق يدل على إهتمام ابن المدبر بالأثر الصوتى للكلمات ومالها من رنين يدل على الإيحاء المعنوى .

ومن الأصول النقدية الجيدة التى طرحها ابن المدبر لكتاب النثر تخير أوقات الكتابة فذكر لهم وجوب فراغ القلب ونشاط الفكر والإقبال برغبة على تسطير مضمونهم ووضوح ملامح عواطفهم تجاه الفكرة فإن البواعث المتمثلة فى الرغبة أو المحبة أو الغضب أو الطرب تكسب الأثر الأدبى آيات الإبداع النابعة من الصدق وابن المدبر بهذا يصرح بما للإستعداد والموهبة من إيجابية تحقق جودة العمل وخلوده ويشير كاتب الرسالة العذراء إلى أن الكتابة صناعة عالية تحتاج لمهارة المتفنن المطبوع الذى يستطيع بحسه المرهف استخراج الألفاظ من مكنونها مع حسن استخدامها ووضعها فى موضع يبرز جودتها . وفصاحتها وبلاغتها وقد أعلن ابن المدبر لكتاب النثر أن المعانى كالغوانى والألفاظ كالمعارض والكاتب البليغ هو القادر على اختيار ألفاظه ونظمها فى عقد باهر المنظر دقيق الصنعة جيد التنسيق ويحذر ابن المدبر الكتاب من الغرور الذى يدمر حاستهم الفنية التى هى عدة صنعتهم .

ويعرض ابن المدبر على الكتاب آية نجاح صنعتهم موضحاً أن سبيلها يكمن

فى عرضها على البلغاء والشعراء والخطباء فإن إصغوا إليهم وأذنوا لهم ، وشخصوا بالأبصار واستعادوهم دل ذلك على جودة صنعتهم ومهارتهم فى إعدادها وتمكنهم من عناصر الإنشاء الأدبى الذى يثمر استمرار عملهم على مر السنين فالصنعة الجيدة تزداد حسنا مع الأيام وسحرا مع الزمان بتحلية الرواة ، وتنقية السراة .

وقد ختم ابن المدبر حديثه لكتاب النثر عن عوامل جودة الأثر الأدبى بحديثه عن ماهية البلاغة التى تبرز فى دقة التعبير ووضوحه وصحة الألفاظ وسلامتها وتجنب الحوشى والسوقى منها والإهتمام بوزن الكلمات وتصريفها حتى تناسق مخارجها الدلالات المعنوية التى تولد الصنعة الجيدة المكونة من الشكل والمضمون وبعد فقد كشف ابن المدبر لكتاب النثر آيات جودة الصنعة الأدبية فيما يلى :

= الاستعداد والموهبة هما أساس نجاح الصنعة الأدبية .

= تخير أوقات الكتابة والإهتمام ببواعثها .

= التمسك بأصالة الصنعة المتمثلة فى تخير الألفاظ الدالة على المعانى .

= الإهتمام بمدلول الطبع والصنعة .

= تلاؤم الشكل والمضمون مع تجربة الكاتب .

= توظيف مخارج الحروف للأداء التعبيرى مما يدل على تناسق الموضوع

وترابطه عبر وحدة فنية جيدة .

= التمسك برأى البلغاء والشعراء والخطباء فى جودة الصنعة لأنه يهدى لكيفية تحقق الإبداع الفنى .

وما سبق يدل على تمسك ابن المدبر بعناصر الآصالة الفنية التى أجمع عليها علماء الصنعة الأدبية وآيات التجديد التى تبرز فى استجابة الكتاب لموضوعات عصرهم وما يستجد من ملامح فكرية وصور تشكيلية إنشائية راقية .

القسم الثانى : صفات الأديب وادواته الكتابية :

تحدث ابن المدبر عن صفات الأديب فذكر ضرورة تمتعه بحسن القامة وصغر الهامة وخفة اللهازم وكثافة اللحية وصدق الحس ولطف المذهب وحلاوة الشمائل وملاحة الزى كما تحدث عن أدواته الكتابية فبين كيفية تجهيزها وسبل إعدادها فذكر إعداد الدواة ووجوب إصلاحها مبينا أنها أول الأدوات التى تتم بها صناعة الأديب ولهذا يجب عليه عماراتها وإصلاحها وتخير ليقة نقية من الشعر لئلا يخرج على حرف القلم ويفسد الكتابة واستخدام المداد النقى الذى يضاعف من جمال منظر الكتابة كما يجب تجهيز براية حادة لتهذيب القلم ووضوح الكتابة فى صورة لطيفة جيدة وقد حث الكتاب على حسن الخط بإتقان كل حرف حتى ينطق من دقته بالمضمون وبإحساس المنشئ إلى جانب الإهتمام بمواطن التشكيل لتجنب لبس المعانى كما ذكر

اتراب الكتب استجابة لنصح رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم الإهتمام بتسجيل تاريخ الكتابة لأنه يدل على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها ثم تحدث عن إسحاء [1] الكتب وحدود سمكها موضحا أنها تكون غليظة فى العهود والسجلات وأشار ابن المدبر إلى طين الختم [2] وعلم إلصاق القراطيس ومحوها ثم تناول فضيلة القلم والخط فقال إن للقلم شرفاً لذكره فى القرآن الكريم ولهذا يجب على الكتاب الإهتمام بإعداده وتجهيزه كما بين أن الخط لسان اليد ورسول الضمير ودليل الإرادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ، وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التنائى ، وأنس الإخوان ، ومستودع الأسرار وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر ، ومورث الآخر مكارم الأول ، والناقل إليه مآثر الماضى ، والمخلد له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسر القلب ، والمخاطب عن الناصت ، والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأبكم ، والمتكلم عن الأخرس .

وبهذا فقد حدث ابن المدبر الكتاب عن الدواة والقلم والقراطيس وإسحاء الكتب وختمها وإترابها ثم بين لهم فضيلة الخط وأثره وقد راعنى ذكر محاسنه التى تبرز شرف منزلته وجلال مكانته التى تبرز فى تخليده للأحداث

---

(١) السحاية : ما شد به الكتاب من خيط ونحوه .

(٢) يقال طينت الكتاب إذا جعلت عليه طين الخاتم والطينة : الطابع على الكتاب وآلصك

الإنسانية : (وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ليست لهذه الأوصاف ، لأنه ينوب عنها فى الإيضاح عند المشهد ، ويفضلها فى المغيب ولأن الكتب تقرأ فى الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتدرس فى كل عصر وزمان ، وبكل لسان) .

والمتلقى لقضايا الرسالة العذراء وما ضمته من موضوعات تتناول جودة الأثر الأدبى من ناحية الشكل والمضمون وما عرضته من صفات الكتاب وجودة أدواتهم يقطف الثمرة الآتية :

= الإنشاء الفنى الأدبى لا يقتصر على التشكيل التعبيرى ولكنه يضم أيضا الرقى الفنى فى تنظيم أدوات الصنعة فقد ذكر ابن المدبر للأديب ما يجب عليه معرفته من ألوان ثقافية ترقى بفنه وما يتسم به من صفات وجدانية وشكلية كى يتمتع الأثر الأدبى بروعة الإبداع وسحر الجمال ويتمثل هذا فى الاستعداد والموهبة والوسامة والهيبة مع استمرار الدربة والممارسة حتى تشرق صياغته بأنوار الجودة الفنية وتنطق بإنسجام التشكيل وحلاوة المعانى وعذوبة الرنين الصوتى النابع من تناسق الحروف والألفاظ والعبارات من خلال إنشاء جيد متميز .

والمتلقى للرسالة العذراء يجد أن ابن المدبر بين أن الكاتب يجب أن يجمع بين عناصر الإنشاء فهو الذى يسطر قضايا فكره ويصلح أدواته فيجهز قلمه

الرسالة العذراء ص ٤١

وقراطيسه ويقوم بإسحاء كتبه وختمها مما يدل على أن الإنشاء بناء متكامل العناصر كما يشير إلى طبيعة النهضة الثقافية فى العصر العباسى ويبين أن نبوغ الكتاب ينبع من معرفتهم التامة بالأصول الإنشائية لفن الأدب وفن إعداد أدواته الكتابية .

ومن الجدير بالذكر أن صاحب الرسالة العذراء ارتشف ملامح رسالته من رافدين من روافد النهضة الأدبية هما الجاحظ وابن قتيبة ولهذا يجب وضعه معهما فى ميزان الإنشاء الأدبى لتحديد علامات الاتفاق وابراز ملامح آصالته وتجديده .

أولاً الجاحظ :

أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكنانى المعروف بالجاحظ البصرى العالم المشهور صاحب التصانيف فى كل فن المتوفى بالبصرة ٢٥٥هـ .

يعد كتابه البيان والتبين من أعظم كتب التراث العربى الذى يناقش بموضوعية قضية جودة التشكيل التعبيرى فقد تحدث عن طبيعة المعانى قائلا (المعانى القائمة فى صدور الناس المقصورة فى أذهانهم والمتخلجة فى نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان

١ - وفيات الأعيان - ابن خلكسان - جـ٤ ص ٨٦ وتحقيق د. إحسان عباس - بيروت .

ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطة ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يحيى تلك المعانى ذكرهم لها وإخبارهم عنها ، وإستعمالهم إياها وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم ، وتجليها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهراً والغائب شاهدا والبعيد قريباً ، وهى التى تلخص الملتبس وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقا ، والمجهول معروفا ، والوحشى مألوفاً والغفل موسوماً ومعلوماً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الإختصار ودقة المدخل ، يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، كانت الإشارة أبْين وأنور وانجع ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحث ، بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم . والبيان إسم جامع لكل شئ كشف قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يغضى السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أى جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التى يجرى إليها القائل السامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأى شئ بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع ... وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : **أولها** اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ثم الخط ثم الحال التى تسمى نصبة . والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا

تقصر عن تلك الدلالات .... قد قلنا الدلالة باللفظ . فأما الإشارة فباليد ... والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه والصوت هو آله اللفظ والجوهر الذى يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف ...

فأما الخط فمما ذكر الله عز وجل فى كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه عليه السلام (إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) .... ولذلك قالوا القلم أحد اللسانين (١)

ناقش الجاحظ فى كلماته السابقة حقيقة المعانى بموضوعية أدبية وحس مرهف على تحديد روافدها التى كشفت النقاب عن علاقتها بالوجدان والعقل فذكر أنها تتولد فى النفوس وترتبط بالضمير والخواطر وتظل فى النفس حتى تبرز ملامحها فيجسدها الخيال عبر الأشكال والهيئات والألوان والأصوات من خلال التشكيل اللفظى الذى يرتبط بدرجة وضوح المعانى فى النفس والعقل كما ذكر الجاحظ أن ترجمة المعانى ونسجها فى عبارات جيدة تثمر حياتها المتجددة التى تستمد استمرارها من تجاوبها مع الفهم والوجدان وقد أعلن الجاحظ أن ذكر المعانى الكامنة فى الصدور يمنحها الظهور والقرب ويجعل

---

(١) البيان والتبين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون طبعة ١٩٦٠ مكتبة الخانجى جـ١ ص ٧٥ .

المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مألوفا .

كما تحدث الجاحظ عن وضوح الدلالة وصواب الإشارة فبين أن المراد من وضوح الدلالة قرب المعانى وظهور أبعادها النفسية والإجتماعية وصرح الجاحظ أن وضوح الدلالة يحقق للأثر الأدبى سمة البيان التي ترمى إلى كشف قناع المعنى ووضوحه للفهم والإفهام واهتمام الجاحظ بالمعانى ووضوح بيانها التعبيرى يهدى إلى أن الألفاظ يجب تنسيقها وإنسجامها مع المعانى بدقة بحيث يدل كل حرف على إيحاء معنوى يكشف ملامح البيان التعبيرى ، كما أشار الجاحظ إلى طبيعة أصوات الحروف مبينا أثر رنينها على الإيحاء المعنوى وتتبع الأصوات من موسيقى الحروف والتقطيع العروضى، وقد بين الجاحظ أثر الخط على التجاوب المعنوى بين الأثر الفنى والمتلقى وبهذا يكون الجاحظ قد حدد خيوط نسيج نقد الأثر الأدبى فى :

١ – وضوح المعانى وقربها من الفهم مما يدل على شرف بيانها .

٢ –ارتباط المعانى بالوجدان والعقل .

٣ – تناسق المعانى مع التشكيل التعبيرى .

٤ – ارتباط أصوات الحروف بالمعانى ويتولد هذا من رنين صوت اللفظة إلى جانب أصوات التقطيع العروضى .

٥ – إيحاء الخط بصور الدلالات المختلفة .

والمتلقى للأصول النقدية التى ذكرها الجاحظ وبين من خلالها أسباب جودة الأثر الأدبى يدرك أن ناقدنا جمع عناصر النص الفنى فى أرفع صوره التركيبية التى توصل لها نقاد العصر الحديث بل أن الجاحظ أضاف إلى رؤية نقاد العصر الحديث عنصر الخط فبين أنه يحمل دلالات معنوية وإجتماعية تعمل على نشر طبيعة الإيحاء بين المنشئ والمتلقى .

وينطلق الجاحظ فى مناقشته لجودة الأثر الأدبى فيشير إلى ضرورة تمتعه بالبلاغة والفصاحة وقد بين المقصود بهما مستعينا برؤية الفارسى واليونانى والهندى والرومى فذكر ما يلى [1] :

(قيل للفارسى : ما البلاغة قال : معرفة الفصل من الفصل .

وقيل لليونانى : ما البلاغة قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومى : ما البلاغة قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة .

وقيل للهندى : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقيل : جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول ، وقلة الحزق بما التبس من المعانى أو غمض ، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر ...

---

(١) البيان والتبين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – جـ١ باب البلاغة طبعة ١٩٦٠ ص ٨٦ : ٩٧

وزين ذلك كله ، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه أن تكون الشمائل موزونة والألفاظ معدلة ، واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام ، وكمل كل الكمال) .

والقارئ لما ورد عن مفهوم البلاغة يدرك أنها ترمى إلى دقة التعبير ووضوح المعانى وحسن البيان والصدق الشعورى الذى ينتقى من الألفاظ من ما يوحى بطبيعة الدلالات .

ومن العرض السابق يجد المتلقى أن ملامح الإتفاق بين الجاحظ وابن المدبر تظهر بجلاء فى قضيتين اللفظ والمعنى وماهية البلاغة فقد جاء فى الرسالة العذراء ما يدل على تفاعل ابن المدبر برؤية الجاحظ فى صفات الألفاظ والمعانى فقد جاء فى الرسالة العذراء ما يلى :

(والمعانى كلها ممتثلة والكلام مشبعا ولكن سياسته صعبة وتأليفه شديد إلا على جهابذته وفرسانه أمراء الكلام يصرفونه كيف شاءوا ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظة ولفظة معناه ويكون اللفظ أسبق إلى الإسماع من معناه إلى القلوب .

الجاحظ : كان لفظه فى وزن إشارته ، وطبعه فى معناه فى مطابقة معناه ... والمعانى وإن كانت كامنة فى الصدر فإنها مصورة فيها ومتصلة بها ، وهى كاللالئ المنظومة فى أصدافها والنار المخبوءة فى أحجارها ، فإن أظهرته من أكنانه وأصدافه تبين حسنه .... وكذلك ليس كل ناطق ولا

كاتب يوضح عن المعنى ولا يصيب إشارته ، وكلما كان الكلام أفصح والبيان أوضح ، وكان أدل على حسن وجه المعنى ...... والدال على المعنى أربعة أصناف لفظ ، وإشارة ، وعقد ، وخط ... ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبتها وحلية غير مشاكلة لحلية أختها ، غير أنها فى الجملة كاشفة عن أعيان المعانى وأوضح هذه الدلائل صنفان وهما اللسان والقلم وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان منه ويؤديان عنه .....

وأما اللسان فهى الآلة التى يخرج الإنسان بها من حد الاستبهام إلى حد الإنسانية ...) [1] تدل الفقرات السابقة الواردة فى الرسالة العذراء على ايمان ابن المدبر بفكر الجاحظ النقدى ولهذا استشهد صاحب الرسالة على أفكاره التى تبنى أسلوب الكاتب المتميز بما ورد فى البيان والتبين والحيوان من أراء نقدية واعية تخص الشكل والمضمون ومن الجدير بالذكر أن الباحث عندما يتصفح فقرات الرسالة العذراء التى تتعلق باللفظ ودلالات المعانى يدرك أن ابن المدبر نقل من البيان والتبين ، والحيوان الأصول الفنية التى يقدمها للكاتب بلا تجديد أو إضافة ويقتصر تجديده فى رسالته على أدوات الكاتب الكتابية وكيفية إعدادها وتجهيزها لتسطير الأثر الفنى من وحى ايمانه بإن صناعة الكاتب الأدبية تنقسم إلى قسمين أولهما فى التشكيل التعبيرى الذى يمثله اللفظ والمعنى والعروض وثانيهما فى إصلاح الدواة والخط والنقط والشكل والأقلام والقراطيس .

---

(١) الرسالة العذراء ص ٣٩ ، ٤٠

كما تجلى إيمان ابن المدبر بمنهج الجاحظ فى مناقشته لماهية البلاغة فقد استشهد بفقرات من البيان والتبين فذكر رأى الهندى والفارسى والرومى وعلى سبيل المثال ورد فى البيان والتبين الفقرة الآتية :

(أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ متخير اللفظ ، ولا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون فى قواه فضل التصرف فى كل طبقة ، ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما ، أو فيلسوفا عليما ، ومن تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ) (١) .

قال ابن المدبر :

(وقيل لهندى : ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها : أول البلاغة إحتمال آلة البلاغة وذلك أن يكون البليغ رابط الجأش ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، ولا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة لا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفا حكيما عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ) (٢)

---

(١) البيان والتبين جـ١ ص ٩٢ طبعة ١٩٦٠م
(٢) الرسالة العذراء – بن المدبر – ص ٤٥ ، ٤٦

وبعد :

فقد تأثر ابن المدبر بالجاحظ فى رؤيته لقضيتن أولهما اللفظ المعنى وثانيهما ماهية البلاغة فنقل فى رسالته ما يهدى به الكتاب إلى أدواتهم لصناعة الإنشاء الأدبى الجيد .

ثانياً : ابن قتيبة [1] :

عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد من علماء الأدب والنحو واللغة ومن المصنفين المكثيرين من أبرز مصنفاته (أدب الكاتب) ، و (المعارف) ، (كتاب المعانى) ، (عيون الأخبار) و (الشعر والشعراء) توفى ٢٧٦ هـ .

كان لابن قتيبة بصماته الطيبة فى عالم الإنشاء الأدبى فقد مهد لكتاب عصره عناصر الجودة التعبيرية التى تحقق لآثارهم الخلود الأدبى ويعد كتابة (أدب الكاتب) من مصنفاته التى سجل فيها سبل بناء الأديب المتميز فقال :

(أما بعد حمد الله بجميع محامده ، والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة على نبيه المصطفى وآله ، فإنى رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ، ومن إسمه متطيرين ، ولأهله كارهين ، أما الناشئ منهم فراغب عن التعلم ، والشادى تارك للازدياد والمتأدب فى عنفوان الشباب ناسى أو متناسى، ليدخل فى جملة المجدودين ويخرج من جملة المحدودين فالعلماء مغمورين ،

---

(١) وفيات الأعيان – د. إحسان عباسى – المجلد الثالث ص ٤٢ ذبعة بيروت
الأعلام – – الزركلى – جـ٤ ص ١٣٧ طبعة بيروت .

وبكرة الجهل مقموعون حين خوى نجم الخبر ، وكسدت سوق البر ، وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه والفضل نقصا ، وأموال الملوك وقفا على شهوات النفوس والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق وواضت المروءات فى زخارف النجد وتشييد البنيان ، ولذات النفوس فى اصطفاق المزاهر ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع ، وجهل قدر المعروف ، وماتت الخواطر ، وسقطت همم النفوس ، وزهد فى لسان الصدق وعقد الحروف وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينية أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر فى شئ من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله عز وجل بالطعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله قد رضى عوضا من الله تعالى ، ومما عنده بأن يقال : « فلان لطيف » ، و (فلان دقيق النظر) يذهب إلى أن لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه ..... فإنى رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطؤوا مركب العجز ، وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكير ، حين نالوا الدرك ، بغير سبب وبلغوا البغية بغير آلة ولعمرى كان ذلك ، فأين همة النفس ..... فلما رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان ، وخشيت أن يذهب رسمه ويعفوا أثره ، جعلت له خطا من عنايتى ، وجزءاً من تأليفى ، فعملت لمغفل التأديب كتبا خفافا فى المعرفة ، وفى تقويم اللسان واليد ، يشتمل كل كتاب منها على فن ، وأعفيته من التطويل والتثقيل ،

لأنشطة لتحفظه ودراسته إن فاءت به همته وأقيد عليه بها ما أضل من المعرفة ...

ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ويصون مرءوته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب ، ويجانب – قبل مجانبته اللحن وخطل القول شنيع الكلام ورفث المزج .... ونستحب له أن يدع فى كلامه التعقير والتقعيب [1] ونستحب لـه أن ينزل ألفاظه فى كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه ، وألا يعطى خسيس الكلام ، فإنى رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا امن أنفسهم وخلطوا فيه ، فليس يفرقون بين من يكتب إليه : (فرأيك فى كذا) وبين من يكتب إليه (فإن رأيت كذا) ، و (رأيك) إنما يكتب بها إلى الأكفاء والمتساوين ولا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء والأستاذين لأن فيها معنى الأمر ، ولذلك نصبت ..... هذا منتهى القول فيما نختاره للكاتب ، فمن تكاملت لـه هـذه الأدوات وأمـده الله بأداب النفس من العفاف ، والحلم ، والصبر ، والتواضع للحق .... [2]

والمتذوق لدعوة ابن قتيبة السابقة التى ينادى فيها الطالب كى يبنى نفسه بصورة راقية تجعله من أعلام الأدب ورواده الأكفاء الذين يغرسون أصول

---

(١) التشدق فى الكلام
(٢) أدب الكاتب – ابن قتيبة تحقيق – محمد الدالى الطبعة الأولى ١٩٨٢م – بيروت . من ص ٥ : ٢٠ بتصرف .

استمرار النهضة الأدبية يتبين فى العناصر الآتية :

* الإقبال على كتاب الله بحفظ آياته المباركة ومعرفة أحكامه ودراسة صياغته التعبيرية الشريفة ففى النظر إليه أسرار النبوغ وآيات الإعجاز البيانى الرفيع.

* معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ودراسة أحكامها ومعانيها والنظر فى تراكيب عباراتها لأنها تمثل روعة البيان وسحر التعبير .

* أن يتزين الكاتب بحسن الخلق حتى تتصف صناعته بالجمال وبهذا فقد ربط ابن قتيبة بين صفات الأديب وصنعته فإذا كان الأديب جميل الخلق حسن السلوك كانت صناعته رقيقة الطبع جيدة التأليف متناسقة التراكيب وقد طلب ابن قتيبة من الأديب أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه فإن ذلك يدفعه إلى حسن أختيار كلماته .

وفى قول ابن قتيبة (ويصون صناعته عن شين الكذب) دعوة إلى صدق التجربة التى بين النقاد أن صدقها من أعظم عناصر نجاح الأثر الفنى فى العصر الحديث .

* يجب على الأديب أن يتجنب الوحشى والغريب وتعقيد الكلام .

* الإهتمام بقدر المخاطب مما يجعل الكاتب بليغا جيد القريحة .

* معرفة الأخبار والسير والأمثال حتى يصل بها كلامه إذا حاور فيضاعف ذلك من جمال صياغته بشرط أن يكون استخدامها نابعامن وحى إحساس المنشئ .

* دراسة علوم اللغة للحفاظ على صحة التأليف وسلامته

وقد قسم ابن قتيبة كتابه أدب الكاتب إلى ما يلى :

١ – كتاب المعرفة .   ٢ – كتاب تقويم اليد .

٣ – كتاب تقويم اللسان .

٤ – كتاب الأبنية .

معانى أبنية الأفعال   أبنية الأسماء

معانى أبنية الأسماء .

ويروى ابن قتيبة أن العناصر السابقة هى الأدوات التى يجب أن يحيط بها الكاتب لتكوين ثقافته الأدبية الراقية .

يدرك المتلقى – بعد هذا العرض – عناصر اتفاق ابن المدبر فى رسالته العذراء مع أدب الكاتب لابن قتيبة حيث بين العناصر التى يجب أن يتزين بها الكاتب ليصبح أديبا له وضعه فى ميزان الإنشاء الأدبى ومن عناصر أتفاق ابن المدبر مع ابن قتيبة ما ذكره ابن المدبر عن أدب الكاتب .

* أن يكون الكاتب صحيح القريحة حلو الشمائل عذب الألفاظ [١].

* أن يكون الكاتب عالما بحلال الكتاب والسنة [٢].

---

(١) الرسالة العذراء ص ٨
(٢) الرسالة العذراء ص ٨

* إهتمام الأديب بقدر من يخاطبه وقد أضاف ابن المدبر على ابن قتيبة فقسم طبقات الكلام إلى ثمانية وحددها بذكاء أدبى موضحاً كل طبقة وسبب تفضيلها (١) .

* النظر فى محاورات العرب ودراسة علوم اللغة ومعرفة إجتلاب الأمثال فى أماكنها (٢) .

* يجب أن تتمتع الألفاظ بالعذوبة والرشاقة والمعانى بالوضوح والسلاسة وأن تكون مخارج الحروف معبرة عن الإيحاء المعنوى عبر انسجام الصياغة الأدبية (٣).

* تجنب التعقيد والمعاظلة والحوشى من الكلام (٤) .

ومن العرض السابق يتبين للمتلقى حدود الإتفاق بين الرسالة العذراء لابن المدبر وبين أدب الكاتب لابن قتيبة كما يدرك المتلقى بحاسته الأدبية ما يجب أن يحيط به الكاتب من معارف ثقافية يستطيع بها توظيف الصورة لخدمة مضمون النص كما يدرك تفرد الرسالة العذراء فى كيفية إعداد الكاتب لأدوات صناعته الكتابية وإعتبارها من عناصر الإنشاء الأدبى الجيد وبعد :

فقد تأثر ابن المدبر برؤية ابن قتيبة فى كيفية بناء شخصية الكاتب

---

(١) الرسالة العذراء ص ٩
(٢) الرسالة العذراء ص ٧
(٣) الرسالة العذراء ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠
(٤) الرسالة العذراء ص ٣٧

الأخلاقية والثقافية وتفرد ابن المدبر بالحديث البديع عن أدوات الكاتب الكتابية . وكما تفاعل ابن المدبر مع رواد عصره فقد أثر فى بعض الأدباء من بعده حيث وضح لهم الأصول الفنية التى يجب أن تتحقق فى الكاتب الأدبى من بينهم :

الصولى ، وابن الأثير ، والقلقشندى .

ثانياً : أثره الأدبى والنقدى

أولاً : الصولى :

محمد بن يحيى بن عبد الله أبو بكر الصولى نديم من أكابر علماء الأدب له تصانيف منها (الأوراق) ، و (الغرر) ، و (أخبار الحلاج) و (شعر أبو نواس المنحول) ، و(أدب الكتاب) توفى ٣٣٥هـ [1] يعد كتابة أدب الكتاب ترجمة حية لما يجب أن يتزين به الأدباء من معارف وثقافات وقد أفصح الصولى عن هدفه من تأليف الكتاب فقال : (هذا كتاب ألفناه فيما يحتاج إليه أعلى الكتاب درجة ، وأقلهم فيه منزلة وجعلته جامعا لكل ما يحتاج الكاتب إليه حتى لا يعول فى جمعية إلا عليه وجزأته ثلاثة أجزاء فى أول كل جزء منها – مع ترجمته – ذكر ما فيه من الأبواب ليقرب على طالبيه ما يريد منه وهذا الكتاب هو المستحق أن يسمى (أدب الكتاب) على الإيجاب لا على الإستعارة وعلى التحصيل لا على التمثيل فإنى رأيت من صنف مثل هذا

(١) الإعلام – الزركلى – جـ٧ ص ١٣٦ طبعة بيروت

الكتاب [١] ونسبه هذه النسبة ولم يحصل له منه إلا تسميته دون تجسيمه وتعميته دون إيضاحه وتقريبه من المعنى الذى ألبسه أياه ، ونسبه إليه ... وقد سلك بعض مؤلفى هذا الكتاب ، طريق الصواب ، ولم يوغل فيه وأتى بطرف من الأخبار ولم يستقصيه وقد اختصرت كتابى هذا جهدى غير تارك ما يحتاج إليه فيه ولكنى أخرجت المعانى فى أقواتها من الألفاظ ، وأسقطت من أكثرها الأسانيد ليقرب على طالبه وينال بغير كلفة ما أراد ولا تبعد أفكاره عنه [٢] .

لقد كشف الصولى بمقدمته أن أسباب تأليفه لكتابه يرجع إلى سببين :

أولهما : إمداد الكتاب بما يحتاجون إليه من معارف وثقافات .

ثانيهما : تقصير الكتاب الذين صنفوا فى موضوع أدب الكاتب مثل ابن قتيبة صاحب كتاب أدب الكاتب الذى تحدث عن الأصول الثقافية والفنية اللازمة لبناء الكاتب بمنهج عام يحتاج لتفسير وايضاح .

وأدب الكتاب للصولى ينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

يحتوى الجزء الأول على الموضوعات الآتية :

= فضل الكتابة .

---

(١) لعله يعرض بابن قتيبة صاحب أدب الكاتب .
(٢) أدب الكتاب – الصولى – تصحيح بهجة الأثرى – مطبعة بغداد ، والطبعة السلفية بمصر – ص ٢٠ ، ٢١

= وصف الكتاب .

أما الجزء الثانى فيضم الموضوعات التالية :

= ما قيل فى الدواة .

= الأقة الدواة .

= الكرسف وما قيل فيه ، ما قيل فى المداد .

= الحبر واشتقاقه .

= القرطاس وما يكتب فيه .

= قط القلم .

= المقط .

= المرفع .

= محراك الدواة .

= الكتب فى اللغة .

= السكين .

= الإنشاء ، السطور .

= المقابلة بالكتاب ونسخه .

= الخطأ فى الكتاب .

= المشق فى الكتاب الزلف .

= فض الكتاب .

= السحاه .

= تتريب الكتاب وتطيينه ، المحو فى الكتاب .

= عرض الكتاب .

= اللحن فى الكتاب .

= التوقيع والإيجاز .

= التعليم فى الكتاب ، الإملاء .

= طى الكتاب ودرجه .

= درس الكتاب وسرده .

= الخاتم وسببه وما قيل فيه .

= العنوان .

= المقادير التى يكتب فيها من القراطيس .

= الدعاء فى المكاتبة وترتيبه والزيادة والنقص فيه .

= تحرير الكتاب .

= من زيد فى دعاء المكاتبة له فشكر .

= ما يتكاتب به الناس اليوم .

= قراءة الكتاب بعد كتبه وما جاء فى ذلك .

= ما جاء فى رد الجواب والحض على التكاتب .

= من تعاطى الكتابة وادعاها وهو لا يحسنها .

= دعاء المكاتبات وأصوله وما حمد منه وذم .

= اللغة فى دعاء المكاتبة .

= التاريخ وما قيل فى معناه .

= الترجمة فى المكاتبة .

= الديوان .

= تحويل الديوان من الفارسى إلى العربى .

ويضم الجزء الثالث الموضوعات الآتية :

= وجوه الأموال التى تحمل إلى بيت المال وأصنافها ولمن تجب .

= اللغة فى أسنان الابل وتعريفها .

= أسنان الغنم ، أسنان البقر .

= أسنان الخيل .

= أحكام الأرضين .

= القطائع .

= جزية رءوس أهل الذمة .

= مبلغ ما كان يرتفع من الخراج

= ذكر مصر .

= ذكر السواد .

= القبالات .

= ما يفضل من المال .

= مكاتبة المسلم وغيره .

= فى الإنسان وغيره .

= الأطعمة .

= مدح الايجاز فى ابتداء المكاتبة والجواب .

= مكاتبة الاخوان .

= ذكر الحساب .

= نقصان الألف واسقاطها .

= زيادة الألف .

= الهمز .

= الهاء .

= الواو .

= الياء .

= ما يكتب بالياء والألف من الأفعال .

= المقصور والممدود

= ما كتب على غير القياس .

= كتاب النون الخفيفة .

= الإدغام .

= ما يقطع وما يوصل .

يجد المتلقى الكريم أن أدب كتّاب الصولى جدد روح الرسالة لابن المدبر حيث تناول كثيراً من موضوعاتها وفصلها بموضوعية تتسم بالجودة الفنية العالية ومن آيات اتفاقهما ما يلى :

تحدث ابن المدبر فى رسالته عن فضيلة القلم والخط فقال (وكفى بفضيلة القلم والخط قول الله عز وجل : (الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) وأقسم به كما أقسم بغيره ثم أقسم بما يكتبه القلم إفصاحا عن حاله وإعظاماً لشأنه وتنبيها لذكره فقال (وما يسطرون) .

ومن فضيلة الخط أنه لسان اليد ورسول الضمير ودليل الإرادة والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ، وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التنائى ، وأنس الأخوان عند الفرقة ومستودع الأسرار وديوان الأمور

وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر وموّرث الآخر مكارم الأول والناقل إليه مآثر الماضى ، والمخلدَ له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسر القلب ، والمخاطب عن الناصت والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأبكم ، والمتكلم عن الأخرس الذى تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه [1] ثم ذكر الصولى فى فضيلة الخط :

(قال يحيى البرمكى الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة ، وقدمها التسوية وجوارحها معرفة الفصول ...... وزعم صاحب المنطق أن الأشياء موجودة فى أربعة مواضع فى الأشياء ذوات المعانى فى أنفسها وفى العقول والقول والخط وأن الخط دليل على ما فى النفوس وما فى النفوس دليل على ما فى الأشياء ذوات المعانى وما فى الأشياء ذوات المعانى مدلول عليه وإن اثنين من هذه الأربعة طبيعيان وهما الأشياء ذوات المعانى وما فى النفوس لا يتغيران واثنان وضعيان يتغيران بتغير اللغات والبلدان وهما القول والخط ومثال ذلك أن الذى فى الجسمين من التدوير والتربيع موجود فيهما إذا نظر إليهما ناظر انطبعت صورتهما فى نفسهما فصارا موجودين فى موضعين وإذا أراد أن يخبر غيره عما وجده احتاج إلى التعبير عما فى نفسه باللفظ فيكون اللفظ دالا على ما فى النفس وإن كان المخبر حاضراً شافهه وإن كان غائبا أداه إليه بالخط .

---

(١) الرسالة العذراء – ابن المدبر – تحقيق د. زكى مبارك الطبعة الثانية ص ٤١ ، ٤٢

واللفظ والخط من هذا الوجه ضروريان لابد منهما فى العبارة – ولو شاء قائل أن يفضل الخط على اللفظ فى هذه الحال من قول صاحب المنطق لقال فالخط أتم من اللفظ فائدة لأنه قد بلغ مبلغ المنطق إذ كنا قد تناجى الحاضر بهما جميعا فنفهمه بكل واحد منهما مثل ما نفهمه بالأخر ولا نستطيع إفهام الغائب إلا بالخط فللخط فائدتان من هذه الجهة وليس للفظ إلا فائدة واحدة ..... (١)

بالنظر إلى المقالتين يتبين أن الصولى ذكر المفهوم الذى ورد فى رسالة ابن المدبر ثم عالجه باستقصاء جيد وتفصيل مفيد يدل على خصوبة ثقافية وثراء فكرى حيث تحدث عن منزلة الخط وشرفة وما قيل فى حسنة من المنظوم وما قيل فى قبحه وما ذكر عن إصلاح آلته بحس الأديب وفكر العالم وتأمل الفليسوف ولا ينقص هذا من قيمة الرسالة العذراء بل يشرفها أنها السبيل الذى أضاء الطريق لمن جاء بعدها لينقش على صفحات الخلود الأدبى رايات الحيوية والتجديد يضاف لهذا أن ابن المدبر أطلق عليها إسم (رسالة) ليدل على أنها توحى بإيجاز عن الأدوات التى يجب ، ن يتسلح بها الكاتب لبناء صناعته الإنشائية . ومن عناصر الاتفاق بين ابن المدبر والصولى دعوتهما لإصلاح الدواة .

قال ابن المدبر :

---

(١) أدب الكتاب الصولى – تعليق بهجة الأثرى ص ٤١ : ٥٦ .

(واعلم أن أول ما ينبغى لك أن تصلح التك التى لابد لك منها ، وأدواتك التى لا تتم صناعتك إلا بها وهى دواتك فابدأ بعمارتها وإصلاحها ، وتخير لها ليقة نقية من الشعر والوذج لئلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك ، ويشغلك بتنقيته وخذ من المداد الفارسى خمسة دراهم ومن الصمغ العربى درهما ، وعفصا مسحوقا نصف درهم ورماد القرطاس المحرق درهمين ، ثم تسحقها وتغربلها وتجمعها ببياض البيض ثم بندقها واجعلها فى الظل فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرته وحشوت به دواتك . وإذا نقعته فى ماء السلق حتى ينحل ويذوب ويختمر ثم أمددت من مائه دواتك كان أجود وأنقى ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القلم الذى يصلح لكتابة القراطيس أقله عقداً ، واكثفه لحما ، وأصلبه قشراً ، وأعدله استواء [1] .

أما الصولى فقد ذكر الشعر الذى قيل فى الدواة ثم تحدث عن حكمها فقال (حكم الدواة أن تكون متوسطة فى قدرها ، نصفا فى قدها ، لا باللطيفة جداً فتقصر أقلامها ولا بالكبيرة فيثقل حملها لأن الكاتب ولو كان وزيراً له مائة غلام مرسومون بحمل دواته مضطر فى بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدى رئيسه ......) [2] .

ثم ذكر (ليكن الكرسف فى نهاية ما يكون من السواد ولتكن الليقة التى

---

(١) الرسالة العذراء ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) أداب الكتاب – الصولى – ص ٩٦ .

فيها الكرسف فى نهاية اللين والنعمة والأجود أن تكون مستديرة فإن كان كذلك أجزأ الكاتب أن يسمها روق القلم) [١] .

يجد القارئ اهتمامهما بإصلاح الدواة وتحسين طبيعة المداد كما يجد أن الصولى ذكر باستقصاء ما يتصل بأدوات الكاتب الكتابية التى تحدث عنها ابن المدبر .

وإختلف عنه فيما ورد فى الجزء الثالث حيث تناول موضوعات عن الأموال والجزية والخراج ومكاتبة المسلم وغيره .... الخ [٢] وهى موضوعات نابعة من وحى العصر وظروفه سجلها الصولى لتكون من معارف الكتاب الإجتماعية والسياسية .

أما ابن المدبر فقد تفرد عن الصولى فى حديثه الجيد عن جودة الصياغة التعبيرية حيث تحدث عن ضرورة تخير الكاتب لألفاظه ومعانيه ومطابقة كلامه لتجربته الخاصة ورعاية قدر المخاطب مع الإهتمام بالتجارب الإنسانية العامة إلى جانب إهتمام الكاتب بالنحو والصرف والعروض لما فى هذ العلوم من إيحاء معنوى يوحى بالدلالات المختلفة التى تمنح الصياغة الجودة الفنية كما تفرد ابن المدبر فى ذكره لماهية البلاغة وأزياء الكتاب وصفاتهم الشكلية والمعنوية .

---

(١) أدب الكتاب – الصولى – ص ١٠٠
(٢) أدب الكتاب – الصولى – ص ١٩٧ – ٢٥٨

ثانيا : ابن الأثير :

نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب وزير من العلماء الكتاب المتوسلين له مصنفات عظيمة منها (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) و (كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب)و (المعانى المخترعة فى صناعة الإنشاء) ، و (الوشى المرموق فى حل المنظوم) ، و (الجامع الكبير) توفى ٦٣٧ هـ .

يعد كتابة (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) بصمة واضحة الملامح فى فن أدب الكتاب وقد صرح بذلك ابن الأثير فقال (إن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعا ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وهما يريانك الخبر عيانا ، ويجعلان عسرك من القول إمكانا ، وكل جارحة منك قلبا ولسانا ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك ما أخطاك . وما مثلى فيما مهدته لك من هذا الطريق إلا كمن طبع سيفا ووضعه فى يمينك لتقاتل به ، وليس عليه أن يخلق لك قلبا – فإن حمل النصال غير مباشرة القتال [1] .

وحديث ابن الأثير يشير إلى ضرورة تمتع الكاتب بالاستعداد والموهبة والدربة والممارسة ويبين أن ما قدمه فى كتابه المثل السائر مجرد –

راجع المقدمة الجامع الكبير فى صناعة المنظوم تحقيق د. مصطفى عبد الجواد – طبعة ١٩٥٦م نشر – المجمع العلمى العراقى .

(١) المثل السائر – تحقيق د. الحوفى ، بدوى طبانة القسم الأول ص ٣٨ – دار نهضة مصر .

أدوات تساعد المنشئ على إعداد صنعته بجودة وحسن وأن الحسن لا يتحقق إلا برغبة المنشئ فى إعداد أثر ينبع من حس مرهف وظفته تجربة حية واضحة الملامح تثمر التشكيل التعبيرى الجيد وقد بين ابن الأثير أدوات الكاتب فيما يلى :

- معرفته علم البيان وأدواته .
- معرفته علم العربية من النحو والتصريف .
- معرفته ما يحتاج إليه من اللغة .
- معرفة أيام العرب وأمثالهم .
- الإطلاع على المنظوم والمنثور .
- معرفة الأحكام السلطانية .
- حفظ القرآن الكريم .
- حفظ الأخبار النبوية .
- معرفة علمى العروض والقوافى .
- معرفة كيفية الحكم على المعانى .
- ماهية الفصاحة والبلاغة .
- المنهج المثالى لتعلم فن الكتابة .

- ما يحتاج إليه صاحب الصناعة فى تأليفه .

- الإهتمام بمعرفة الفروق بين الألفاظ .

- دراسة مخارج الحروف لمعرفة طبيعة أصوات الكلمة .

- الإحساس بطبيعة الكلمة من حيث السلاسة والوضوح والرقة والجزالة .

- تجنب الوحشى .

- دراسة السجع والتصريح ومعرفة أثرهما فى الشعر .

- حديث عن معنى المماطلة اللفظية .

- معنى الطبع وكيفية التحصيل .

- معرفة المعانى المبتدعة والمعانى المقلدة وعوامل الإبتداع .

- دراسة الإستعارة والتشبيه والإلتفات والتقديم والتأخير لمعرفة أثر هذه الفنون فى قوة التعبير .

- دراسة التكرار فى الألفاظ والمعانى ومعرفة أثره على الصياغة الشكلية والمعنوية .

- معرفة أسرار المبادئ والإفتتاحات ودراسة أصول التخلص والاقتضاب والمطابقة والمقابلة وصحة التقسيم .

- دراسة السرقات الشعرية لمعرفة ملامح التقليد والابتكار والإبداع الفنى .

وما سبق من معارف وثقافات أدبية ولغوية وبلاغية أدوات لازمة لإعداد الكاتب صنعته بفن ومهارة وهذه الأدوات عنصر من عناصر الإنشاء الذى يرتكز على رافدين الأول أدوات الصناعة والثانى يكمن فى نفس المنشئ مثل الإستعداد والموهبة والقدرة على الخلق والإبداع وقد تحدث ابن الأثير عن الكتابة باعتبارها من أعظم أدوات صناعة فن الإنشاء الجيد فقال :

(هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها ما رأيت أحدا تكلم فيه بشئ ولما حُببت إلى هذه الفضيلة وبلغنى الله منها ما بلغنى وجدت الطريق ينقسم فيها إلى ثلاث شعب :

الأولى : أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم فى استعمال الألفاظ والمعانى ثم يحذو حذوهم وهذه أدنى الطبقات عندى .

الثانية : أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة إما فى تحسين ألفاظ . أو فى تحسين معان وهذه هى الطبقة الوسطى وهى أعلى من التى قبلها .

الثالثة : أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولايطلع على شئ منها بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء ، ممن غلب على شعره الإجادة فى المعانى والألفاظ ثم يأخذ فى الاقتباس من هذه الثلاثة أعنى القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار فيقوم ويقع ، ويخطئ ، ويصيب ، ويضل ويهتدى حتى يستقيم على

طريقة يفتتحها لنفسه ، وأخلق بذلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة ، لا شركة لأحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق هى طريق الإجتهاد وصاحبها بعد إماما فى فن الكتابة ...... ولا أريد أن يكون الكاتب مرتبطا فى كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والأخبار النبوية والشعر بحيث أنه لا ينشئ كتابا إلا من ذلك بل أريد أنه إذا حفظ القرآن الكريم ، وأكثر من حفظ الأخبار النبوية والأشعار ، ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش عن دفائنه وقلبه ظهراً لبطن عرف من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ من الغريزة الطبيعية . ألا ترى أن صاحب الإجتهاد من الفقهاء يفتقر إلى معرفة آيات الأحكام وأخبار الأحكام وإلى معرفة علم العربية .... فهذه أدوات الإجتهاد .... وكذلك يجرى الحكم فى الكاتب إذا أحب الترقى إلى درجة الإجتهاد فى الكتابة فإنه يحتاج إلى أشياء كثيرة ... إلا أن رأسها وعمودها وذروة سنامها ثلاثة أشياء هى حفظ القرآن الكريم ، والإكثار من حفظ الأخبار النبوية والأشعار[1] .

يجد الباحث أن إبن الأثير قد ذكر الأدوات التى يجب أن يتزين بها الكاتب لبناء شخصيته الثقافية فبين أن فكر الأديب يبنى بمدارسة وتعلم علوم العربية المتمثلة فى النحو والصرف والعروض والقوافى والأصوات وعلم البيان وعلم المعانى وعلم البديع وهى أدوات ثقافية حية أنوارها من حفظ القرآن الكريم

(١) المثل السائر – ابن الأثير – تحقيق د. الحوفى القسم الأول – نهضة مصر ص ١٢٥ : ١٢٨ بتصرف

والحديث الشريف والإطلاع على المنظوم والمنثورمن الآثار العربية التى تجيد آيات الخلق والابتكار والإبداع وقد اهتم ابن الأثير بدراسة الكاتب للسروقات الشعريةلأنها تمثل المقياس الدقيق لجودة العمل الفنى وتكشف ملامح الآصالة والتجديد فما يدفع إلى استمرار النهضة الفكرية .

وقد أجاد ابن الأثير فى بيان كيفية الكتابة الجيدة وأسرار رقيها وأحسن عندما قسم عناصر الجودة إلى ثلاثة أقسام عمادها الإجتهاد الذى يشكل ملامح الإبداع الفنى .

وقد أعلن ابن الأثير إيمانه بذاتية المنشئ . التى تفيض على النهضة الأدبية بآيات التجديد ورايات الحيوية التى تحفظ الآثار الفنية من سمة الجمود والتقليد والتحجر وقد سبق بهذه الرؤية رواد النقد الحديث الذين أجمعوا على أن الأبداع يتجلى فى بروز شخصية الكاتب فى عمله [1] .

ويتبين من العرض السابق اتفاق ابن المدبر صاحب الرسالة العذراء مع ابن الأثير فقد ذكر فى رسالته أن الكاتب يجب أن يبنى ثقافته وشخصيته بما يلى :

* تحصيل العلوم والمعارف التى تغذى فكر الكاتب مثل الحكمة والمنطق . ومثل النظر فى المقامات والخطب ومحاورات العرب وأمثالهم ومعرفة

---

(١) راجع النقد والنقاد المعاصرون – د. محمد مندور دار . نهضة مصر (تناول الكتاب أراء نقاد العصر الحديث فى ملامح الإبداع الفنى وكيفيته) .

الأشعار والأخبار والسير والأسمار .

* تعلم علوم العربية المتمثلة فى النحو والصروف والعروض والقوافى والمعانى والبيان والبديع .

* حفظ القرآن الكريم .

* معرفة أحكام الحديث النبوى الشريف

فقد اتفق ابن الأثير مع ابن المدبر فى أدوات بناء فكر الكاتب وثقافته وتجلى اتفاقهما فى حديثهما عن فن الكتابة وأركانها وطرق صناعتها :

فقال ابن المدبر :

(واعلم أن الإكتساب بالتعلم والتكلف وطول الإختلاف إلى العلماء ومدارسة كتب الحكماء فإن أردت خوض بحار البلاغة وطلب أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، فى تنقيح ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار و السير والأسحار ، ما يتسع به منطقك ، ويعذب لسانك ويطول به قلمك) [1] .

وقال ابن الأثير :

(هذا الفضل هو كنز الكتابة ومنبعها ، وما رأيت أحداً تكلم فيه بشئ ولما

---

(١) الرسالة العذراء ص ٧

حببت إلى هذه الفضيلة وبلغنى الله منها ما بلغنى وجدت الطريق ينقسم إلى ثلاث شعب :

الأولى : أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم فى إستعمال الألفاظ والمعانى ....

الثانية : أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه ......

الثالثة : أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شئ منها بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية وعدة دواوين فحول الشعراء ... وهذه الطريق هى طريق الاجتهاد وصاحبها يعد اماما فى فن الكتابة (١) .

يدرك الباحث أن ابن الأثير أعلن تفرده فى تحديد هذه الأصول الفنية اللازمة لصناعة الكتابة والحقيقة أن ابن المدبر قد مهد السبيل حيث ذكر للأديب أن من أدواته تصفح رسائل المتقدمين ، والرجوع إلى رسائل المتأخرين ، والإستعانة بنوادر كلام الناس وقد حدد ابن المدبر درجة الإقبال على المعارف والعلوم السابقة فى العبارات الآتية :

تصفح – ما ترجع إليه – تنقيح ذهنك – ما تستعين به .

أى أن ابن المدبر جعل الإطلاع على المعارف السابقة ينبع من واقع

---

(١) المثل السائر – ابن الأثير – تحقيق د. أحمد الحوفى – القسم الأول ص ١٢٦ – دار نهضة مصر .

الضرورة التى ترقى بالعمل وتضاعف من متعته وجماله فالآثار الأدبية تستمد شعاعها من أنوارها المتصلة .

كما يدرك المتلقى أن ابن الأثير جعل قسمه الثالث من أرفع وأشرف أقسام بناء الكاتب فقد حثه على ألا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شئ منها بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية ، وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الإجادة فى المعانى والألفاظ فقد حث ابن الأثير الكاتب على عدم الإطلاع على الآثار السابقة بينما حثه على الإطلاع على دواوين الفحول من الشعراء مما يدل على أن الفن الأدبى روضة متكاملة لا يمكن فصل بعض أزهارها عن بعض كما يدل على إضطراب رأى ابن الأثير من هذه الزاوية .

ومن الجدير بالذكر أن ابن الأثير تحدث عن الصياغة التعبيرية التى تشكل نظم الكلام الشعرى والنثرى أما إبن المدبر فقد تحدث عن إعداد الكاتب لصياغة الرسائل ومع ذلك أحسن وأجاد .

وقد زاد ابن المدبر فى حديثه عن الكتابة فتحدث عن أثرها الوجدانى والفكرى والإجتماعى من خلال كلماته عن فضيلة الخط والقلم :

(الكتب تقرأ فى الأماكن المتباينـة ، والبلدان المتفرقة وتدرس فى كل زمان ، وبكل لسان ...) [١]

---

(١) الرسالة العذراء ص ٤١ بتصرف

(ومن فضيلة الخط أنه ، لسان اليد ، ورسول الضمير ، ودليل الإرادة والناطق عن الخواطر ....) [1]

كما يجد المتلقى الكريم فى الرسالة العذراء حديثا جيداً عن إعداد الأدوات الكتابية وكيفية تجهيزها للإنشاء الأدبى الفنى .

ثانيا : ٣ - القلقشندى :

أحمد بن على بن أحمد القلقشندى المؤرخ الأديب البحاثة ولد فى قلقشندة من قرى القليوبية من أفضل تصانيفه (صبح الأعشى فى قوانين الإنشا) أربعة عشر مجلداً توفى ٨٢١هـ [2].

يعد مصنفه صبح الأعشى من عيون كتب تراث المكتبة العربية حيث ضم بين جوانحه موضوعات حية تبنى الفكر وتسمو بالوجدان ومن هذه الموضوعات : فضل الكتابة ، حديث عن مدلول الكتابة لغة وإصطلاحا ، تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة ، فى آداب الكتاب فيما يحتاج إليه الكتاب من الأمور العلمية ، فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء منها : المعرفة باللغة العربية ، المعرفة باللغة الأعجمية ، المعرفة بالنحو ، المعرفة بعلوم البيان والبديع ، حفظ كتاب الله ، الإستكثار من حفظ الأحاديث النبوية ، والإكثار من حفظ خطب البلغاء الاسكتثار من حفظ الأشعار الرائعة ،

---

(١) الرسالة العذراء ص ٤٢ بتصرف .

(٢) الزعلام - الرزكلى جـ١ ص ١٧٧ - طبعة بيروت .

الإكثار من حفظ الأمثال ، ومعرفة أنساب الأمم العرب والعجم ، المعرفة بأيام الحروب ، ومعرفة عادات العرب ، النظر فى كتب التاريخ .

كما تحدث عن آلات الخط ومباديه وصوره وأشكاله والدواة وآلاتها ، وأشار إلى فضيلة الخط وفى كيفية الاستمداد ووضع القلم على الدرج وفى كيفية إمساك القلم عند الكتابة ووضعه على الورق وقد بين فى حديث جيد كيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على الرقاع والقصص ، ثم تحدث فى عرض ممتع عن الفواتح والخواتيم واللواحق ففى الفواتح ذكر البسملة ، والحمد له ، فى التشهد فى الخطب ، فى الصلاة والسلام على النبى . وفى المكاتبات تحدث عن :

الأصول التى يعتمدها الكتاب فى المكاتبات ، وفى بيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز ، فى الكتب الصادرة عن الخلفاء ومن الصحابة ، وفى المكاتبات الصادرة عن الملوك ، وفى مقاصد المكاتبات (١) .

والمتلقى لموضوعات صبح الأعشى يجد أن القلقشندى تناول الأدوات التى يجب أن يتسلح بها الكاتب لبناء شخصيته الأدبية بالتفصيل الجيد الذى يفتح طريق النهضة الأدبية حيث تحدث عن أدواتها بحيوية تجمع بين الأصالة والتجديد وقد ظهرت أصالته بجلاء فى تفاعله مع التراث الفكرى المورث الذى تحدث عن فن الإنشاء الأدبى وكيفية إعداد سبل هذه الصناعة ويجد المتلقى ملامح الإتفاق بين الرسالة العذراء وبين صبح الأعشى واضحة بجلاء

(١) راجع صبح الأعشى – القلقشندى جـ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٩ .

مما يدل على إهتمام القلقشندى بأصول التراث وقد برزت آيات الإتفاق بين ابن المدبر وبينه فيما يلى :

* ذكر ابن المدبر أن الكاتب يجب عليه تحصيل العلوم والمعارف التى تبنى فكره ووجدانه مثل مدارسة كتب الحكماء ، والإقبال على طلب الأشعار والأخبار والسير والأسمار ، والنظر فى كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعانى العجم وحدود المنطق ودراسة قواعد علم النحو والتصريف والعروض .
* التمهر فى نزع آى القرآن الكريم فى مواضعها وهذا يتطلب الإكثار من حفظ القرآن الكريم .
* معرفة أحكام الأحاديث النبوية الشريفة .
* معرفة الأصول الفنية التى يجب الإلتزام بها فى صدور الرسائل وخواتيمها قال فى هذا :

(وليكن فى صدر كتابك دليل واضح على مرادك ، وإفتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك حيثما جريت فيه من فنون العلم ، ونزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات فإن ذلك أجزل لمعناك ، وأحسن لإتساق كلامك ، ولا تطيلن صدر كلامك إطالة تخرجه عن حدة ، ولا تقصر به عن حقه) [1] .

---

(١) الرسالة العذراء ص ٢٢

* الإهتمام بإصلاح الدواة والأقلام والقراطيس (1)

* اسحاء الكتب .

* اتراب الكتب .

* فضيلة الخط والقلم قال فى هذا :

(من فضيلة الخط أنه لسان اليد ، ورسول الضمير ودليل الإرادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ، وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التنائى ، وأنسى الإخوان عند الفرقة ومستودع الأسرار ، وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس والمخبر عن الخواطر وموّرث الآخر مكارم الأول ، والناقل إليه مآثر الماضى ، والمخلد له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسر القلب ، والمخاطب عن الناصت ، والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأبكم ، والمتكلم عن الأخرس ، الذى تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمنافيه)(2)

وقد تأثر القلقشندى برؤية ابن المدبر فى فضيلة الخط والقلم فذكر : (الخط لسان اليد ، سمط الحكمة وبه نفصل شذورها وينتظم منثورها ، والخط أصل الروح له جسدانية فى سائر الأعمال ، إلى ما يجرى هذا المجرى ، والخط لسان اليد وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ، وسلاح المعرفة ،

---

(1) الرسالة العذراء ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .
(2) الرسالة العذراء ص ٤٢

وأنسى الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد مسافة ومستودع السر ، وديوان الأمور (١) .

وما أورده ابن المدبر عن الخط فى رسالته ثم استدل به القلقشندى فى صبح الأعشى يدل على أن التراث الأدبى بنيان متصل الأجزاء يمد بعضه البعض فيستشهد الحديث بما ورد فى القديم من أصول أدبية ونقدية ثم يضيف لمحاته التجديدية فالأدب هو الدنيا الحية التى تضم بين جوانحها الزمان الماضى منه والحاضر والمستقبل ولكل حقبة سماتها التى تميزها ثم يربطها برباط وثيق بزمانها لتتكون الحلقة الأدبية والزمانية المتشابكة فى أحداثها المتكاملة فى ملامحها .

وبهذا يدرك المتلقى أن منهج الرسالة العذراء مهد السبيل لإعداد الكاتب الجيد موضحاً ضرورة إقباله على تحصيل العلوم والمعارف المختلفة مع الإهتمام بمعرفة أصول تجهيز الأدوات الكتابية وقد نظر القلقشندى إلى هذه الأصول فأوردها ثم زاد عليها ما يناسب روح عصره مما يدل على روحه التجديدية وشخصيته الأدبية المستقلة .

كما يجد المتلقى أن ابن المدبر أشار فى لمحات نقدية جيدة إلى كيفية تكوين الإنشاء الجيد وصفات الكاتب الوجدانية والسلوكية الشكلية بإيجاز يتسم بالجلاء والوضوح أما ما ورد فى صبح الأعشى عن هذه القضية فيحتاج من

---

(١) الرسالة العذراء ص ٤٢ وصبح الأعشى جـ٣ ص ١، ٢ بتصرف

الباحث لصبر ومثابرة ودقة نظر وبعد فنى وحس مرهف حتى يستخرج ملامح القضية من بين سطور هذه المرجع الضخم .

وبعد هذه الجولة بين رياض أدب الكتاب يدرك المتلقى الكريم أن لكل ثمرة أدبية رحيقها ولونها وشكلها كما يدرك أن حياة الأدب تنبع من تفاعله الصادق مع ملابسات البيئة وأن خلوده يشرق من استمرار عوامل التأثير والتأثر التى تعلن ارتباطه عبر العصور الإنسانية ويصل البحث بعد هذه النظرات إلى ابراز القيمة الإنشائية للرسالة العذراء .

يقطف المتلقى من بستان الرسالة العذراء الثمرة الآتية :

= تفاعل ابن المدبر مع نهضة عصره الأدبية وقد تجلى ذلك فى منهج مناقشته لقضية بناء الشكل والمضمون التى آثارها الجاحظ موضحا الأصول التى يعتد بها المنشئ فى بناء الأثر الفنى والقواعد التى يرتكز عليها الناقد فى تقدير النص الأدبى حيث بين أن إعداد النص الجيد يكمن فى إدراك المنشئ لطبيعـة مـدلالات الألـفاظ على المعانى التى تعكس صور المعانى كما ذكر أن أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد .

أولها اللفظ ، ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التى تسمى نصبة والنصبة هى الحالة الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف التى لا تقصر عن تلك

الدلالات [1] كما تحدث الجاحظ عن ماهية البلاغة مبينا انها القدرة الفنية على الإفصاح الذى يعكس ما فى النفوس والخواطر بجلاء وبهذا يكون الجاحظ كشف عن كيفية بناء الأثر الأدبى الجيد وبين للنقاد أصول نقد اللوحات الفنية ثم تأمل ابن المدبر أراء الجاحظ الأدبية والنقدية فسطر رسالته مستدلا بأقوال الجاحظ فى قضية الشكل والمضمون وأضاف من وحى رؤيته بإيجاز يتوجه الوضوح ما وجده ضرورة حية لخلق كاتب فريد قادر على الإبداع .

كما تفاعل ابن المدبر بما ورد فى كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة الذى يعالج فيه مؤلفه قضية بناء الشكل والمضمون كما كشف النقاب عن المعارف والثقافات التى يجب على الكاتب تحصيلها ويتمثل ذلك فى حفظ القرآن الكريم وتدبر أحكامه ومعرفة أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى جانب اتقان علوم اللغة فلما نظر ابن المدبر فى كتاب أدب الكاتب وجد أن ابن قتيبة تحدث فى قضية الشكل والمضمون والمعارف والثقافات التى يجب على الكاتب تحصيلها فأضاف إليه . ضرورة معرفة الكاتب بأدواته الكتابية فهى من العناصر التى تضاعف آيات الإبداع الفنى وبهذا يصبح ابن المدبر من رواد عصره الذين يجمعون بين الاصالة والتجديد وتصبح رسالته العذراء من العناصر التى غرست بذور الإنشاء الأدبى والنقدى والفنى حيث أعلنت أن الكاتب المبدع هو القادر على تحصيل المعارف الثقافية والماهر فى اعداد أدواته

---

(١) البيان والتبين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون طبعة ١٩٦٠ – جـ١

الكتابية وأن آيات النهضة الأدبية والنقدية تجمع بين القدرة على صناعة الكلام الجيد والتمهر فى صناعة أدوات الكتابة وقد أضاف ابن المدبر برؤيته قضية جديدة لبناء الإنشاء الأدبى وهى أن إعداد الكاتب للقلم والقرطاس والمداد وتسجيله لأفكاره بخطة يمنح اللوحة الأدبية الصدق الشعورى فالكاتب يعيش تجربته بما فيها من خواطر وخلجات وصور خيالية ويترجم هذا فى عباراته ورنين حروفه ولون مداده وطبيعة خطة وبهذا تكون الأدوات الكتابية من عناصر تحليل وتفسير وتقيم النص الأدبى وسبيل من سبل الكشف عن وجدان المنشئ وفكره وبيئته وعصره .

كما كشفت الرسالة العذراء عن ملامح النقد الإجتماعى والأخلاقى وقد برز ذلك فى أقواله عن مدلولات الألفاظوالمعانى (ولكل مكتوب إليه قدر ووزن ينبغى الكاتب ألا يتجاوز به عنه ، ولا يقصر به دونه وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام فى قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول مالا يفعل

فهذا معنى صحيح فى المدح ، ولكنهم أجلوا أقدار الملوك أن يمدحوا بما يمدح به العوام لأن صدق الحديث وانجاز الوعد وإن كان مدحا فهو واجب على كل الملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة وإنما يحسن مدحهم بالنوافل [١].

وكما تأثر ابن المدبر برواد عصره وتفاعل بفكرهم أثر فيمن جاء بعده مثل

---

(١) الرسالة العذراء ص ١٥ فقرة ٨

الصولى ، وإبن الأثير والقلقشندى حيث جمع الصولى فى كتابه (أدب الكتاب) المكون من ثلاثة أجزاء الأدوات التى يحتاج إليها الكاتب وقد ظهرت بجلاء بصمات الرسالة العذراء ويجدها المتلقى جلية بين قضايا (أدب الكتاب) وعلى سبيل المثال ما ورد عن الكتابة والخط والقلم والدواة والقرطاس والسكين والسحاة وتتريب الكتاب وتطينه .... إلخ وقد فصل الصولى فى شرح كل قضية أما ابن المدبر فجعل رسالته دعوة تحمل بذور الهداية لمن يتخصص فى إعداد الأديب من الناحية الثقافية والكتابية وقد أعرض الصولى عن قضية الشكل والمضمون مما يوحى بأنه ترك مناقشتها وتوضيحها لعلماء اللغة ولعله اعتقد بضرورة التخصص وأن لكل مجاله الذى يحسن فيه فاللغوى يضع للأديب أصول الجودة الفنية وطرق المهارة التعبيرية حتى إذا تم له هذا البناء الفنى الذى يشكله الإستعداد والموهبة وتحصيل علوم اللغة بحث عن مراجع تتناول آداب الكتاب فى صناعة الإنشاء تركز الضوء على موضوعات القلم والشكل والنقط والخط والمداد والقرطاس وكيفية اعداد الصدور والخواتيم ومنهج الصولى هو المنهج الصحيح حيث يجب أن تتخصص بعض الكتب لعرض أراء العلماء وبعضها لتجهيز أدوات الكاتب الكتابية وبهذا تعد الرسالة العذراء جامعة بإيجاز لكل ما يحتاج إليه الأديب أما (أدب الكتاب) للصولى فهو كتاب تخصصى حيث أخذ عن ابن المدبر منهج صناعة الإنشاء وفصله بمهارة وذكاء وأضاف ما أغفله ابن المدبر وهو الحديث عن الأموال والجزية والخراج .

أما ابن الأثير فقد تناول قضية إعداد الكاتب فى كتابه المثل السائر فتحدث عن ضرورة تمتع الأديب بالموهبة والإستعداد وتعلمه علوم اللغة مثل النحو والصرف والعروض والبلاغة حتى تتمتع صنعته بالطبع ويصل كلامه لدرجة الإبداع الفنى وبهذا يكون ابن الأثير ناقش قضية التشكيل التعبيرى من الزاويتين اللغوية والبلاغية كما أعلن أن الصناعة الأدبية تحتاج إلى معرفة أعظم أدوات فن الإنشاء التى تتمثل فى الكتابة وقد قال فى هذا :

(هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها ومارأيت أحداً تكلم فيه بشئ ولما حببت إلى هذه الفضيلة وبلغنى الله منها ما بلغنى وجدت الطريق ينقسم فيها إلى ثلاث شعب :

الأولى : أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم فى إستعمال الألفاظ والمعانى .

الثانية : أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه .

الثالثة : أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شئ منها بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخباز النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء ....)

ولعل مقولة ابن الأثير (ما رأيت أحداً تكلم فيه بشئ) يرمى إلى عدم

١- المثل السائر - ابن الزثير - تحقيق د. أحمد الحوفى - دار نهضة مصر القسم الأول ص ١٢٥ ، ١٢٦ بتصرف

وجود المراجع المتخصصة فى عرض فن الكتابة التى تجهز الكاتب لإعداد الأعمال الأدبية الجيدة وعدم إطلاعه على الرسالة العذراء رغم تناول ابن المدبر فى رسالته بإيجاز ما فصله ابن الأثير فقد ذكر فى الرسالة العذراء ما يلى :

(واعلم أن الإكتساب بالتعلم والتكلف وطول الإختلاف إلى العلماء ومدارسة كتب الحكماء فإن أردت خوض بحار البلاغة وطلبت أدوات الفصاحة فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه وما رسائل المتأخرين ما ترجع إليه فى تنقيح ذهنك واستنجاح بلاغتك ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ومن الأشعار والأخبار والسير ما يتسع به منطقك ويعذب لسانك ويطول به قلمك) .

(وانظر فى كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تتوسط فى علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والشروط ككتب السجلات والأمانات فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب وتمهر فى نزع أى القرآن من مواضعها واجتلاب الأمثال فى أماكنها واختراع الألفاظ الجزلة وفرض الشعر الجيد وعلم العروض فإن تضمين المثل السائر والبيت الغابر مما يزين كتابك ......)(١) وبموازنة أقوال ابن المدبر وابن الأثير يدرك أن الأخير قد أخذ من ابن المدبر ما غرسه فى كتابه المثل السائر بأطناب واستقصاء بل أن بصمات الصولى ظهرت أيضاً فى أدب الكاتب لابن الأثير .

---

(١) الرسالة العذراء ص ٧

ولعل ابن الأثير لم يطلع على الرسالة العذراء إلاأن معلوماتها وصلت إليه لأن عالم الأدب ينبض بقلب يخفق بتيار التأثير والتأثر .

كما ظهرت بصمات الرسالة العذراء فى كتاب صبح الأعشى حيث تناول ما يحتاج إليه الكاتب من الأشياء العلمية والمواد الثقافية التى تعد عماد الإنشاء مثل معرفة النحو وعلوم البلغاء والاستكثار من حفظ كتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة والإكثار من معرفة الأمثال ومعرفة أيام العرب وعاداتهم إلى جانب معرفة آلات الخط وصوره وأشكاله والقلم وأوضاعه وكيفية الفواتح والخواتيم .... إلخ وهى آلات وأدوات ذكرها ابن المدبر فى رسالته [١] بإيجاز مفيد وفصلها القلقشندى من خلال مجلده الضخم تفصيل المتخصص فى صناعة الإنشاء الأدبى .

وبعد : فقد تفاعل ابن المدبر مع رواد عصره وخاصة الجاحظ وابن قتيبة حيث أخذ من الأول ملامح نظرته الأدبية والنقدية لقضية الشكل والمضمون ومن الثانى خطوط إعداد الكاتب الأدبى ثم سطر رسالته التى تحتوى على فقرات تتناول كل فقرة قضية حية تعالج عنصراً من عناصر تشكيل الكاتب وكما تفاعل ابن المدبر مع علماء عصره أثر فيمن جاء بعده من علماء الأدب مما يعلن أن دنيا الأدب تستمد استمرار حياتها من ينبوع التأثير والتأثر وقد أجمع رواد أدب الكاتب على أن تشكيل الكاتب المبدع يكمن فى الحرص على

---

(١) الرسالة العذراء ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

حفظ القرأن الكريم وفهم وتدبر آياته والإكثار من حفظ الأحاديث النبوية ومعرفة أحكامها ودراسة علوم اللغة العربية المتمثلة فى النحو والصرف والعروض والبلاغة والإهتمام بدراسة التاريخ والسير لمعرفة طبيعة التجارب الإنسانية .

ويصل البحث الآن إلى خاتمة مطافه ليجمع فيها رحيق أفكاره وثمار نظراته الأدبية والنقدية .

الخـاتمـــة

الأدب لحن خالد فى عمر الزمان وهبه الله – جل علاه – للإنسان ليترجم به شدو أحلامه وهمسات آماله ونبض أفراحه ودموع أتراحه ولهذا فالأدب سجل الحياة ورمز تطورها حيث يجد المتلقى فى نصوصه فكر الأجداد والأباء فيهتدى به إلى أفضل سبل التجديد والإبتكار ويعد النقد القلب النابض المتدفق بالحيوية فى دنيا الأدب حيث يدفعه إلى الإزدهار بما يضعه من قواعد منهجية تكشف آيات التقدم والرقى الفكرى والإجتماعى والوجدانى وتعد الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر موضوع البحث لبنة طيبة فى ميدان النقد الأدبى الذى يركز الضوء على كيفية إعداد بناء الكاتب الجيد من خلال عرض الأصول الأدبية والفنية التى تصل بالأثر الأدبى إلى درجة الإبداع وقد أعجبتنى الرسالة لأنها تمثل دعوة حية عبر أثير مشرق بضياء التكامل الأدبى والإنسجـام الفنـى حيث حشد فيها ابـن المدبر أسبـاب جـودة النـص الأدبى وعوامل تميز الأديب فقطفتها من بستان العالم الأدبى برغبة الباحث الذى ينقب بهيام عن أسرار الخلود وقد قسمت المنهج إلى مبحثين :

ينقسم المبحث الأول إلى قسمين يتحدث **الأول** بإيجاز عن البيئة النثرية فى عهد إبراهيم ابن المدبر مع بيان تنوع الرسائل بين الإجتماعية والسياسة والدينية والإخوانية والأدبية ثم تناول **القسم الثانى** التعريف بابن المدبر وسبب تسميته رسالته بالعذراء .

أما المبحث الثانى فينقسم بدوره أيضاً إلى قسمين :

الأول : يتناول القضايا الإنشائية الأدبية التى تضمنتها الرسالة العذراء مع الإشارة إلى مدلول معنى الرسالة وأبعادها الأدبية وقد سجل البحث فقرات الرسالة الإنشائية الأدبية كما وردت فى مصدرها ثم عقبت بالتعليق الأدبى والنقدى مبينا منزلتها فى إعداد الكاتب المتميز وتبلغ الفقرات إحدى وثلاثين فقرة منها : ضمير الكاتب وحرصه على الحكمة ثقافته وما يجب عليه تحصيله، صفات الكاتب ، أزياء الكتاب ، طبقات الكلام ، تخير الألفاظ والتعابير تفقد الألفاظ والمعانى ، صدور الرسائل وخواتيمها ، إصلاح الدواة وإعداد الأقلام والقراطيس والسكين وكيفية النقط والشكل والخط واتراب الكتب ، الدلالة على المعانى ، فضل البلاغة وماهيتها .

أما القسم الثانى : فتناول منزلة ابن المدبر فى ميزان الإنشاء الأدبى بين الجاحظ وابن قتيبة ثم أثره فى كتاب أدب الكاتب من بعده مثل الصولى وابن الأثير ، والقلقشندى وقد أعلن البحث فى القسم الثانى أن دائرة الأدب تستمد أنوارها من أضواء التأثير والتأثر .

وقد بين ابن المدبر فى رسالته ان نبوغ الكاتب فى التشكيل التعبيرى يرجع منبعه إلى حفظ القرآن الكريم وفهم آياته وتدبر معانيه وتذوق ألفاظه كما يرجع إلى الإكثار من حفظ الأحاديث النبوية الشريفة ودراسة أحكامها ومعرفة أسرار بلاغتها إلى جانب دراسة علوم اللغة العربية المتمثلة فى النحو والصرف والعروض لأنها أساس صحة وسلامة العبارة كما بين أن البلاغة التعبيرية

مدارها ووضوح المعانى وقربها من المتلقى لجمال تناسقها وسحر إنسجامها ورقة بيانها ويجد المتلقى بين صفحات الرسالة العذراء عناصر الجودة التى تصل بالفن الأدبى إلى درجة الإبداع الفنى حيث ذكر ابن المدبر ضرورة إدراك المنشئ لساعات قوله التى تكمن فى الرغبة والرهبة والطرب حتى يتسم عمله بالصدق الشعورى التعبيرى الذى يعكس بدقة وجلاء طبيعة خواطر الكاتب وخلجاته وأبعاد رؤيته الإجتماعية والثقافية والسياسية .

وقد حث ابن المدبر فى رسالته على تحصيل المعارف والأخبار والخطب والسير والمحاورات والأسمار والإطلاع على أشعار الفحول وبهذا تبرز فى صفحات الرسالة العذراء لمحات إيجابية للنقد الإجتماعى والأخلاقى واللغوى .

ويجد الباحث بين صفحات الرسالة العذراء ما ينم عن حس ابن المدبر وبراعته فى إعداد أديب متميز يدل فنه على تكوينه الإجتماعى والوجدانى والعقلى كما يدل على أبعاد موضوعه ولا يقتصر هذا على تشكيلة التعبيرى ورنين صياغته ومدلولات معانيه وأصوات حروفه فحسب بل يتجلى من طبيعة إختياره لخطة ومداده الذى يسطر به أثره الفنى (فالخط رسول الضمير ، ودليل الإرادة والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التنائى وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومستودع الأسرار وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر ، وموروث الآخر مكارم الأول والناقل إليه مآثر الماضى ، والمخلد له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسر القلب ، والمخاطب عن

الناصت ، والمجادل عن الساكت والمفصح عن الأبكم ، والمتكلم عن الأخرس الذى تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه) [1] .

وما سبق يدل على أن الرسالة العذراء دعوة إيجابية فى عالم الإنشاء الأدبى الفريد حيث غرست بذور النهوض بالكاتب حتى يصل بعمله إلى دنيا الإبداع .

وينادى البحث الكتاب والنقاد لإعداد رسائل تعليمية أدبية على نمط الرسالة العذراء تهدى الكتاب إلى الأصول الإنشائية الرفيعة النابعة من ظروف البيئة بحيث تضم هذه الرسائل تجسيداً جليا للأراء النقدية والأدبية والفنية التى تجمع بين الآصالة والتجديد فتجعل التراث هاديا لمنهجها ثم تضيف ما يناسب عصرها حتى تكون هذه الإضافة ثمرة طيبة فى روضة الأدب تنير الطريق للأجيال الأدبية الإنشائية المقبلة .

تم بحمد الله وتوفيقه

(وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

---

(١) الرسالة العذراء ص ٤٢ .

المصـــادر والمــراجــع

- القرآن الكريم

- ابن الأثير : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر تحقيق د. أحمد الحوفى ، د.بدوى طبانه دار نهضة مصر .

، كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب – تحقيق د. النبوى عبد الواحد شعلان – الطبعة الأولى ١٩٩٤م الزهراء للإعلام العربى .

- ابن خلكـان – وفيات الأعيان – تحقيق د. إحسان عباس – طبعة بيروت .

- ابن رشيق – العمدة فى محاسن الشعر وآدابه تحقيق . محمد محيى الدين طبعة ١٩٦٣م .

- ابن قتيبة : أدب الكاتب – تحقيق – محمد الدالى – الطبعة الأولى ١٩٨٢م بيروت .

- إبن ماجة : سنن ابن ماجة – طبعة بيروت .

- ابن المدبر – الرسالة العذراء تحقيق د. زكى مبارك الطبعة الثانية ١٩٣١م .
- أنيس المقدسى – تطور أساليب النثرية فى الأدب العربى الطبعة الأولى بيروت .
- الجاحظ – البيان والتبين – تحقيق – عبد السلام هارون – طبعة ١٩٦٠م مكتبة الخانجى بمصر ، – رسائل الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون مطبعة الخانجى – القاهرة .
- الزركلى – الأعلام – دار الملايين – بيروت .
- د. زكى مبارك – النثر الفنى – المكتبة التجارية الطبعة الثانية .
- د. السيد مرسى – المقال وتطوره فى الأدب المعاصر – طبعة ١٩٨٢م دار المعارف .
- د. شوقى ضيف : شعر الأحوص الأنصارى – دار المعارفطبعة ١٩٧٠م
، العصر العباسى الأول – دار المعارف الطبعة الرابعة .
، العصر العباسى الثانى – دار المعارف – الطبعة الثالثة .
، الفن ومذاهبه – دار المعارف الطبعة التاسعة ١٩٦٠م .
- الصولى – أدب الكتاب – تعليق بهجة الأثرى – المكتبة العربية – بغداد .
- د. طه أبو كريشة – النقد العربى القديم طبعة ١٩٩١م .

– د. طه حسين – من حديث الشعر والنثر – دار المعارف – طبعة ١٩٦١م .

– علاء الدين على – كنز العمال – طبعة ١٩٨٥م بيروت .

– القلقشندى – صبح الأعشى – وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

– د. محمد خفاجى • تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول – الطبعة الثانية ١٩٨١م .

، الأداب العربية فى العصر العباسى الثانى – مكتبة الكليات الأزهرية – مصر .

– د. محمد السعدى فرهود – قضايا النقد العربى الحديث – الطبعة الثاننية – ١٩٧٩م .

– د. محمد مندور : النقد المنهجى عند العرب – دار نهضة مصر .

– ياقوت – معجم الأدباء – الطبعة الأخيرة .

الفهـــرس

صفحة

رقـــم الإيــــداع

٩٤/٩٤٠٦